مجلة تراثية فصلية محكمة

المورد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق
المجلد الخامس والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧ م

WWW.ATTAWEEL.COM

أسعد الديري محمد

لغة الشعر عند ابي تمام

د. نعمة رحيم العزاوي

كلية التربية (ابن رشد) ـ جامعة بغداد

التمهيد

ابو تمام والجديد :

لم يكن ابو تمام اول من اتجه بالشعر العربي وجهة جديدة ، فقد سبقه الى هذا شعراء ، ابرزهم بشار بن برد ومسلم بن الوليد اللذان ظهر في شعرهما مالم يعهد النقاد ، واللغويون منهم بوجه خاص ، من سمات في اللفظة المفردة والجملة . فاما بشار فقد اراد ان يفتح للشعراء باب التصرف في اللغة فاستحدث صيغاً ، وابتكر مشتقات لم ترد في كلام العرب ، فانكرها اللغويون عليه ، وعدوها من اخطائه . قال بشار :

والآن اقصر عن سمية باطلي واشار بالوجل عليّ عذولي

وقال :

على الغزلى مني السلام فربما لهوت بها في ظل مخضرة زهر

فطعن الاخفش في هذين البيتين وقال : « لم يسمع من الوجل والغزل (فَعَلى) ، وانما قاسهما بشار ، وليس هذا مما يقاس ، وانما يعمل فيه بالسماع » .[1]

واما مسلم بن الوليد فهو « اول من حاول ان يجعل من الشعر ابداعاً جمالياً في الالفاظ » .[2] وقد قال عنه ابن قتيبة : « اول من الطف في المعاني ورقق في القول » .[3] فالناظر في شعر بشار ومسلم بن الوليد واجه فيهما ملامح جديدة تشير الى ان الشعر العربي بدأ يدخل في عهد جديد ، فارق فيه ما عرف من قيم تعبيرية ظلت متوارثة عدة قرون . وقد اقر النقاد لهذين الشاعرين بانهما رائدان لما صار يعرف في القرن الثالث بالشعر المحدث . فبشار قيل عنه : إنه « استاذ المحدثين من بحره اغترفوا ، واثره اقتفوا » .[4]

والذي يدلنا على ان بشاراً شق للشعر العربي طريقاً جديدة ، هو ان الاصمعي فضله على مروان بن ابي حفصة « لان مروان اخذ بمسالك الاوائل ، سلك طريقاً كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه ، وان بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه احد فانفرد به ، واحسن فيه » .[5]

لقد اختلفت نظرة بشار الى الشعر ، فحين سئل : « بم فقت اهل عصرك ، وسبقت اهل عصرك ، قال : لاني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ، ويناجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ولا والله ماملك قيادي الاعجاب بشيء مما آتي به » .[6] وفي هذا القول « ما يشير الى ان الشعر في رأي بشار فن ، فلا يكفي ان يعبر الشاعر طبيعياً ، بل المهم هو كيفية تعبيره ، فالطبع بذاته لا يتضمن قيمة شعرية بالضرورة وانما يجب اخراجه فنياً ، وفي هذا القول ما يشير ايضاً الى ان بشاراً يرى ان الشعر بحث مستمر ، ومن هنا لا يعجب الشاعر بما انجزه ، ذلك انه ماخوذ بما لم ينجزه بعد » .[7]

ولم يكن ابو تمام ليختلف عن بشار في نظرته الى الشعر ، فقد كان شاعراً جانب (الطبع) واعتمد على (الصنعة) في شعره ، اذ كان يعتقد ان الشعر فن ، وان الفن لا يواتي صاحبه اذا ارسل نفسه على سجيتها ، واخذ ما يطفو على سطح خاطره ، بل لابد له لكي يكون الفن فناً ان يبذل جهداً ، وان يشقى شقاءً ما ، حتى يستوي له الفن ، ويواتيه منه مايرضيه .[8]

وكما كان بشار غرضاً لسهام اللغويين ومن تابعهم من النقاد ، فلم يثنه ذلك عن المضي في طريق التجديد ، كذلك لقي جديد ابي تمام إعراضنا عنه ، وطعنا عليه ، نقد حار اللغويون والنقاد المحافظون في شعره ، فلم يقبلوا عليه ، ولم يسيغوه ، وما سبب ذلك الا لان اللغويين الفوا شعر القدماء ، فذللت لهم سبله ، ووضحت امامهم معالمه ، اما شعر ابي تمام فقد كان جديداً عليهم ، وكانت هذه الجدة سبب حيرتهم فيه ، واعراضهم عنه . وقد تنبه الصولي لذلك ، فقال محللاً اسباب اعراض اللغويين عن الشعر الجديد وشعر ابي تمام خاصة : « أما ما حكي عن بعض العلماء في اجتناب شعره ـ اي ابي تمام ـ وعيبه ، ولا اسمي منهم احداً لصيانتي لاهل العلم جميعاً ، وابقائي عليهم ، وحياطتي لهم ، فلا تنكر ان يقع ذلك منهم .

www.attaweel.com

لان اشعار الاوائل قد ذللت لهم ، وكثرت لها روايتهم ، ووجدوا أئمة قد ماشوها لهم ، وراضوا معانيها ، فهم يقرؤونها سالكين سبيل غيرهم في تفاسيرها ، واستجادة جيدها ، وعيب رديئها ، والفاظ القدماء وإن تفاضلت فانها تتشابه ، وبعضها آخذ برقاب بعض ، فيستدلون بما عرفوه منها على ما انكروه ، ويقوون على صعبها بما ذللوه ، ولم يجدوا في شعر المحدثين في عهد بشار أئمة كائمتهم ولا رواة كرواتهم ، الذين تجتمع فيه شرائطهم ، ولم يعرفوا ماكان يضبطه ويقوم به ، وقصروا فيه فجهلوه وعادوه » .[٩]

ولكن شعر ابي تمام لم يعدم في القرن الثالث الهجري بعض اللغويين الذين تفاوتت احكامهم فيه بين الاستحسان والاستهجان ، من هؤلاء اللغويين التوزي الذي سئل عن شعر ابي تمام فقال : « فيه ما استحسنه وفيه ما لا اعرفه ولم اسمع بمثله » .[١٠] ومنهم ايضاً ابو حاتم السجستاني الذي قال عنه الصولي : « أنشد ابو حاتم شعراً لابي تمام فاستحسن بعضه واستقبح بعضاً » .[١١]

وهناك لغويون قبلوا شعر ابي تمام ، واذنوا له في دخول كتبهم ومصنفاتهم ، ومن هؤلاء المبرد الذي عده ابن سنان الخفاجي من المتسامحين الذين قبلوا الشعر الجديد عامة ، ولم يروا تفضيل القديم عليه .[١٢] وما كتابه (الروضة) إلا دليل على تسامح المبرد ، فقد قصره على شعر المحدثين .[١٣]

ثم رنق الشعر الجديد عامة وشعر ابي تمام خاصة في القرن الثالث الهجري نقاداً غير اللغويين المتسامحين ، اقبلوا عليه ، واحسنوا درسه ، وكان هؤلاء النقاد هم الكتاب والادباء الذين تلمذوا لائمة اللغة والنحو ، وأفادوا منهم ، ولكنهم لم يرثوا عنهم نظرتهم للجديد ، بل اقبلوا عليه ، وعُنوا به اشد عناية ، ونقدوا عناصره ، فنوهوا بالمقبول منها والمرذول ، فاستحقوا لذلك ان يكونوا العلماء بالشعر ، البصراء بجوهره . قا الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على ابي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار ، وتعلق بالايام والانساب ، فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب » .[١٤]

وجاء ابن قتيبة فعزز الرأي القائل بوجوب الاهتمام بالجديد ، ونبذ التعصب للقديم ، وقال : « ... ولانظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، والى المتاخرين منهم بعين الاحتقار لتاخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، واعطيت كلًا حظه ، ووفرت عليه حقه » .[١٥] ثم انحنى باللوم على من كان من علماء عصره « يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولاعيب له عنده الا انه قيل في زمانه او انه رأى قائله » .[١٦] وعُني ابن المعتز بالشعر المحدث فدرسه والف فيه . وعلى ذلك فان اتجاهاً جديداً في درس الادب ونقده ، قد بدأ يظهر وتتضح ملامحه ، وان النقاد أحسوا بوجوب الالتفات الى الشعر الجديد ، وتقويمه ، ووضع الاسس التي تصلح للمفاضلة بين منشئيه . اما اللغويون فقد شرعوا يتركون ميدان النقد ، وان لم يودعوه ، بعد ان تصدى الادباء والكتاب لهذه المهمة . وما ان جاء القرن الرابع حتى خفتت الحماسة للشعر القديم ، وتضاءلت ، واصبح اكثر النقاد مجمعين على التسليم بانه لا فضل لقديم على محدث ، ولا لمحدث على قديم إلا بالاجادة .[١٧]

الاستخدام الفني للغة :

من الواضح ان اللغة تستخدم ضربين من الاستخدام ، الاستخدام العادي ، وبه تنقل الافكار من المتكلم الى السامع ، وأن على الانسان ان يلتزم في حديثه العادي لغة الجماعة ، ويخضع لما تتبع هذه اللغة من نظام في اصواتها ومفرداتها وتراكيبها واساليبها ، كما يتقيد بمدلولات الالفاظ ، فلا يحيد عن شيء من ذلك ، ليضمن للغته ان تؤدي عنه مايريد . ولو حاول فرد ان يخرج في حياته عن النظام اللغوي للجماعة ، بان يخترع لنفسه لغة يتفاهم بها ، لما وجد من يفهم حديثه ، ويصح للجماعة ان تسخر منه ، وتصفه بالشذوذ والمروق .[١٨]

غير ان الذي يحدث في ميدان الحياة العملية لا يصح في عالم الشعر والادب ، فاذا تقيد الفرد العادي في حياته العامة بلغة الجماعة ، وخضع لنظامها وقوانينها ، وجدنا الشاعر يتمتع بقدر كبير من الحرية الفنية في استخدام اللغة . فمع التزام الشاعر بقواعد اللغة واصولها ، ومع رعايته لقوانينها فهو حر ـ بحدود ما يبدع ـ في استخدام هذه اللغة ، ويملك من امرها ما لا يملك الانسان العادي من امر لغته .

ان لغة الشعر لا تقتصر على نقل الافكار فقط ، بل هي الى جانب تاديتها هذه الوظيفة الاساسية ، غاية بنفسها ، او هي اداة الخلق الفني ، لا تلتزم احياناً الاطار اللغوي الشائع . ولو اتبع الشاعر التركيب اللغوي الاعتيادي لكان كلامه نوعاً من التقليد البحت ، او شكلًا من اشكال الكلام الذي يفتقر الى الاساس الاول الذي يبني عليه اي خلق ادبي ، وهو رؤية الفنان الذاتية ، وقدرته الخاصة على صياغة اثره الفني في صورة جديدة ، تدهش القارىء ، وتلفت ، انتباهه الى عبقرية الشاعر في تعامله مع اللغة .

فاللغة عند الشاعر الحق ـ في بعض الاحيان ـ تتخذ اشكالًا غير التي يتداولها الناس ويتواصلون بها ، فلا نجد فيها الفاظاً كثر استخدامها حتى بليت ، وامحت معالمها ، وبهتت ظلالها ، فلم تعد تقدر على تحريك او اثارة . ولاتحكم تلك اللغة غالباً علاقات وارتباطات عامة الفها الناس ، وسكنوا اليها ، حتى استحالت الى مايشبه الاصطلاحات الجامدة . ان مهمة

www.attaweel.com

الشاعر احياناً في اقامة علاقات جديدة بين الالفاظ ، وابتداع سياق لغوي مملوء بالايحاء .[١٩]

يأتي الشاعر المبدع الى الكلمة ، وهي اداة عادية ، فيجعلها تدل دلالة غير مالوفة ، واول ما يلجأ اليه ليجعل الكلمة العادية غير عادية هو ان يستعملها بارتباط غير مالوف .[٢٠] وكان ابو تمام مولعاً لهذا النحو من التصرف في اللغة . وسيأتي بيان ذلك .

اولاً : لغة الشعر عند ابي تمام من منظار نقدي

المفردات

لقد عرض النقاد لغة ابي تمام على ضربين من المقاييس ، فنظروا في لغته في ضوء مقاييس الجودة والرداءة ، فحكموا لبعض مفرداته وتراكيبه بالجودة ، وحكموا على اخرى بالرداءة . ونظروا في لغته مرة اخرى في ضوء قواعد اللغة وقوانينها ، فحكموا على بعض مفرداته وتراكيبه بمخالفة تلك القواعد والقوانين ، وسنشير في هذا البحث الى ما تمخض عنه كلا النظرين من نتائج واحكام بادئين بما اسفر عنه نقد لغة ابي تمام في ضوء مقاييس الجودة والرداءة ، وعاطفين على ذلك بما نجم عن النظر في لغته بمقتضى مقاييس الخطأ والصواب .

الصيغة او البناء :

من المعروف ان الذوق العربي يستحلي اللفظ القليل الاحرف ، فيديره في الكلام ، ويكثر منه في الاستعمال ، كما يستثقل اللفظ الطويل ، وينفر منه . واللفظة العربية لا تزيد في اقصى حالات طولها على سبعة احرف ، اما المفردات التي تزيد حروفها على ذلك فقد عدوها دخيلة ، او مقحمة مصنوعة ، لم ينطق بها العرب .

وقد نظر النقاد الى صيغة الكلمة او بنائها ، واتخذوه مقياساً من مقاييس الجودة والرداءة ، او المفاضلة بين المفردات . فاشترط ابن سنان الخفاجي ان تكون الكلمة الفصيحة « ممتدلة غير كثيرة الحروف ، فانها متى ما زادت على الامثلة الممتادة المعروفة قبحت ، وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة » .[٢١] وبمقتضى هذا المقياس عاب ابن سنان على ابي تمام قوله :

فلازربيجان اختيال بعدما كانت معرس عبرة ونكال
سمجتْ ونبهنا على استسماجها ماحولها من نضرة وجمال

فقال : « فقوله : فلاذربيجان كلمة رديئة لطولها وكثرة حروفها ، وهي غير عربية ، ولكن هذا وجه قبحها . وكذلك قوله في البيت الثاني : استسماجها رديء لكثرة الحروف ، وخروج الكلمة بذلك عن المعتاد في الالفاظ الى الشاذ النادر » .[٢٢]
وعاب ابن سنان ايضاً قول ابي تمام :
أبِنْهُ باستماعكهُ محلًا يفوت علوه الطرف الطموحا

فقال : « فليس بقبح قوله (باستماعكه) خفاء ، لكثرة الحروف على ماذكرناه لا غير » .[٢٣] وعاب ابن سنان كذلك قول ابي تمام :
العيس تعلم ان حوباواتها ربح اذا بلغتك ان لم تُنْحر

فقال ابن سنان : « وحوباواتها كلمة طويلة » .[٢٤]
ويخالف ابن الاثير ابن سنان في هذا المقياس من مقاييس نقد الالفاظ ، فقد ذهب الى ان الطول لا يوجب دائماً قبح اللفظة ، واستدل على ذلك بان في القرآن الكريم الفاظاً طوالاً ، وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى (فسيكفيكهم الله) وقوله : (ليستخلفنهم في الارض) ، وانتهى ابن الاثير الى ان الطول الناجم عن الزيادة على الاصول غير قبيح في بعض الاحيان ، اما الطول الناجم عن كثرة الحروف الاصول فهو قبيح . وعلى هذا الاساس استنكر ابن الاثير كلمة (جحمرش) و (صهصلق) ، وهما من الخماسي المجرد ، ولم يستقبح كلمة (فسيكفيكهم) وكلمة (ليستخلفنهم) لان الطول فيهما ليس اصلًا وانما هو طارىء عليها بسبب حروف وضمائر لحقت بهما ، وهما اصلًا من البناء الثلاثي .[٢٥]

ومما يتعلق بهذا المقياس ان الكلمة تحسن احياناً اذا كانت مفردة ، فاذا جمعت او ثنيت قبحت ، واستحقت الاطراح . ومن الامثلة على ذلك ان كلمة (اخدع) وردت في بيتين فكانت في احدهما مستملحة رائعة ، وكانت في الاخرى ثقيلة مستكرهة . قال الصمة بن عبد الله :

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتاً واخدعا

وقال ابو تمام :
يادهر قوم من اخدعيك فقد اضججت هذا الانام من خرقك

فعلق ابن الاثير على البيتين بقوله : « الا ترى انه وجد لهذه اللفظة في بيت ابي تمام من الثقل على السمع والكراهية في النفس اضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة والايناس والبهجة ، وليس سبب ذلك الا انها جاءت

www.attaweel.com

موحدة في احدهما مثناة في الاخر ، وكانت حسنة في حال الافراد مستكرهة في حالة التثنية ، والا فاللفظة واحدة ، وانما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى » .[٢٦]

واذا كانت (اخدع) جاءت معيبة في شعر ابي تمام لانها وردت مثناة فيه ، فان كلمة (صوف) عابها بعض النقاد لانها جاءت مفردة في قول ابي تمام :

كانوا برود زمانهم فتصدعوا فكانما لبس الزمان الصوفا

نقل ابن الاثير عن بعض النقاد انهم عابوا كلمة (الصوف) ، وذكروا ان سبب عيبها وقوعها مفردة في شعر ابي تمام ، على حين وقعت مجموعة في قولة تعالى : (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها وأوبارها واشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين) .[٢٧] فرد ابن الاثير على عائبي لفظة ابي تمام رداً مقنعاً ، لانه كشف عن موطن العيب في الكلمة فردة لا الى كونها مفردة او مجموعة ، وانما لانها جاءت مجازية في نسبتها الى الزمان .[٢٨]

وعاب عبد القاهر الجرجاني كلمة اخرى لابي تمام بسبب صيغتها او وزنها ، فقد استحسن هذا الناقد الفعل (حاك) الذي استعمله البحتري في قوله :

فصاغ ماصاغ من تبر ومن ورق وحاك ماحاك من وَشْي وديباج

ولكنه استقبح ان يورد ابو تمام اسم فاعل منه فيقول :

انا الذيث غادى نسجه خلت انه خلت حقب حرس له وهو حائك

فذهب عبد القاهر الى ان لفظة (حائك) في غاية القبح والركاكة ، والذي قاله البحتري (وحاك ما حاك) حسن .[٢٩]

الغريب :

لقد عاب النقاد الغرابة في المفردات ، وعدوها مخلة بفصاحة الكلام ، واذا استثنينا اللغويين الذين شجعوا الغريب ، رغبة في جمع اللغة ، وبحثاً عن الشاهد ، فان اكثر النقاد انحازوا الى السهولة ، وظل ذلك ديدنهم . ومما لفت نظر النقاد في شعر ابي تمام غرام هذا الشاعر بالغريب ، وجريه وراء النادر من الصيغ والكلمات ، فعابوا ذلك عليه ، غير ان الآمدي لم يعب الغريب دائماً ، بل كان يعيبه اذا ابتدأ الشاعر قصيدته به ، او اكثر منه في القصيدة الواحدة ، وجعله متجاوراً متلاحقاً ، لا ينفصل بعضه عن بعض بالفاظ واضحة سهلة . وكان الغريب ـ عدا ذلك ـ نوعين عند الآمدي : الغريب الذي يغرب على الحضر وحدهم ، والغريب الذي يغرب على البدو أنفسهم ، وسمى هذا الضرب من الغريب بالوحشي . وقد سمح الشاعر بان يأتي بالضرب الاول استعانة به ، او اظهاراً لثقافته اللغوية ، على الا يكون في ابتداء القصيدة ، والا يتجاوز او يتلاحق . وقد تجلّى موقف الآمدي هذا في تعليقه على الالفاظ الغريبة التي ضمها احد مطالع ابي تمام وهو

قَفْكَ انتبْ أربيتَ في الغُلواء

قال الآمدي : « وزاد هذه الالفاظ هجنة انها ابتداء قصيدة » .[٣٠] وقال في موضع آخر : « وأما قوله (قفك انتب اربيت في الغلواء) فانها الفاظ صحيحة فصيحة من الفاظ العرب ، مستعملة في نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف الفاظهم ، ولا وحشي كلامهم ، ولكن العلماء بالشعر انكروا عليه ان جمعها في مصراع واحد ، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل » .[٣١] وقال حيناً آخر « فمن شان الشاعر الحضري ان يأتي في شعره بالالفاظ العربية المستعملة في كلام الحاضرة ، فان اختار ان يأتي بما لا يستعمله اهل الحضر فمن سبيله ان يجعله من المستعمل في كلام اهل البدو دون الوحشي الذي يقل استعمالهم اياه ، وان يجعله متفرقاً في تضاعيف الفاظه ، ويضعه في مواضعه ، فيكون قد اتسع مجاله بالاستعانة به ، ودل على فصاحته وعلمه ، وتخلص من الهجنة » .[٣٢]

ومن غريب مفردات ابي تمام قوله :

لقد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولاطائر كهل

الذي علق ابن سنان عليه قائلًا : « فان كهلًا ها هنا من غريب اللغة ، وقد روي ان الاصمعي لم يعرف هذه الكلمة ... وقد قيل ان الكهل الضخم . وكهل لفظة ليست قبيحة التأليف ولكنها وحشية غريبة ، لا يعرفها مثل الاصمعي » .[٣٣]

وعاب ابن سنان على ابي تمام كلمة (صهصلق) ووصفها بالوعورة ، وكانت قد جاءت في قوله :

صهصلق في الصهيل تحسبه أشرج حلقومه على جرس[٣٤]

ولم يلفت الغريب في شعر ابي تمام نظر الآمدي وابن سنان وحدهما ، بل لفت نظر ابن الاثير كذلك ، فوقف عند قوله :

قد قلت لما اطلخمّ الأمرُ وانبعثت عشواء تالية غبساء دهاريسا[٣٥]

وعلق عليه قائلًا : « فلفظة اطلخم من الالفاظ المذكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في انها غريبة وانها غليظة في السمع ، كريهة على الذوق ، وكذلك لفظة دهاريس » .[٣٦]

ومن غريب ابي تمام قوله :

كم من بمٍ يُعجزُ الجيش اللهام انا بانوا ستحكم فيه البؤبؤ الأجدُ

يريد ان الجيش كان يعجز عن قتل هذا المحب ، فقتلته العرمس الأجد ، اي الناقة القوية الموثقة الخلق ، لانها حملت محبوبته .

www.attaweel.com

ومن المفردات التي تعد نادرة وغريبة جمع ابي تمام (الوحيد) على (وحاد) في قوله :
كان في الاجفلى وفي النقرى عُرْ فُـكِ نَضْر الـوحـاد

قال المعري : « الوحاد جمع وحيد مثل كريم وكرام ، يقول : كان عُرفك نضراً في العموم والوحاد » .[٣٧]

تلازم اللفظ والمعنى :

وهذا مقياس اخر احتكم نقاد ابي تمام اليه ليعرفوا جودة مفرداته او رداءتها ، والنقاد اذ يطلقون كلمة (المعنى) فانما يريدون بها في الغالب (الغرض) او (المقصد) او مايريد المتكلم ان يثبته او ينفيه من الكلام .[٣٨] والمعنى بهذا الاستخدام يرادف عندهم (الفكرة) العامة المجردة التي يتفنن المنشيء في صوغها ، ثم يستخلصها المتلقي من مجموع ما قاله الشاعر[٣٩] ومن هنا جعل النقاد ان من مقاييس جودة الكلمة ان تلائم المعنى الذي تكفلت هي وما يجاورها بابرازه والتعبير عنه . وقد كان الجاحظ من اوائل النقاد الذين قرروا ملاءمة اللفظ للمعنى في مواضع كثيرة من كتبه ، منها قوله : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل »[٤٠] وقال ابن طباطبا : « وللمعاني الفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها »[٤١] . ولم يخرج قدامة عن ذلك حين قال : « ولما كان المذهب في الغزل انما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة ، كان مما يحتاج فيه ان تكون الالفاظ لطيفة مستعذبة ، مقبولة غير مستكرهة ، فاذا كانت جاسية كان ذلك عيباً . الا انه لما لم يكن عيباً على الاطلاق امكن أن يكون حسناً ، اذ كان قد يحتاج الى الخشونة في مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والباس والرهبة » .[٤٢]

واما ابن سنان الخفاجي فقد رسخّ هذا المقياس من مقاييس نقد المفردة الشعرية فرأى ان على الشاعر « الا يعبر عن المدح بالالفاظ المستعملة في الذم ولا في الذم بالالفاظ المعروفة في المدح ، بل يستعمل في جميع الاغراض الالفاظ اللائقة بذلك الغرض ، في موضع الجد الفاظه وفي موضع الهزل الفاظه »[٤٣]

وفي لغة ابي تمام مفردات تخرج عن هذا المقياس النقدي ، من ذلك انه نقل الفاظاً من مجالها الذي تستعمل فيه ، وساقها في مجال آخر يستدعي الفاظاً اخرى ، تكون الصق به ، واكثر تآلفاً معه . فلفظتا (يهذي) و (محموم) اللتان وردتا في قول ابي تمام مادحاً :
مازال يهذي بالمكارم دائبا حين ظننا أنـه محمـوم

مجالهما الذم ، فاذا استعملهما ابو تمام في معرض المدح ، ونعت بهما من يمدحه ، فقد صدم بذلك الذوق العام ، وخرج عما الف هذا الذوق من الفاظ كريمة ، تناسب المديح ، وتنسجم مع شعور المادح ، وهو شعور اعجاب واكبار في الغالب .[٤٤]

وكلمة (شيطان) لا موضع لها بين الكلمات التي درج الشعراء على ان ينعتوا بها ممدوحيهم ، فاذا استعملها ابو تمام صفة لاحد ممدوحيه فقال :
وتشقى الحرب منه حين تغلي مـراجلهـا بشيطـان رجيم

فانه يعاب بذلك ويعد مجانباً للفظ الجيد او المختار .[٤٥]

ومما يعد من الالفاظ موضوعاً في غير موضعه ، ومنقولاً الى مجال المدح ، وهو بمجال الهجو الصق ، قول ابي تمام مادحاً :
سعى فـاستنزل الشرف اقتسـاراً ولـولا السعي لم تكن المساعي

الذي علق عليه الامدي قائلاً : « قوله (سعى فاستنزل الشرف اقتسارا) ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندي هجاء مصرح به ، لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف ، وذلك أنك اذا ذممت رجلاً شريفاً ، شريف الاباء كان ابلغ ما تذمه به ان تقول : قد حططت شرفك ووضعت من شرفك ، وقد وكد بقوله (اقتساراً) » .[٤٦]

وقوله يمدح الافشين في وقعة هزم بها بابك ، فيشبه الافشين بالتينين ، وما سمع احد من الشعراء شبه به ممدوحاً .[٤٧]
ولمْ ولم يظلم وهل ظلم امرؤ حث النجاء وخلفه التينين

وقول ابي تمام مادحاً ايضاً :
ياأبا جعفر جُعلت فداكـا فاق حسن الوجوه حسنُ قفاكا

و (القفا) من الالفاظ التي تستعمل في الذم ، وليست من الفاظ المدح .[٤٨]

ومن الالفاظ التي لا تليق بالغزل كلمة (ملطومة) التي جاءت في قوله :
ملطومة بالورد أطلق طرفُها في الخلق فهو مع المنون مُحكّمُ

وقد علق الامدي على هذا البيت قائلاً : « وقوله (ملطومة بالورد) يريد حمرة خدها ، فلم لم يقل : مصفوعة بالقار ويريد سواد شعرها ، ومخبوطة بالشحم يريد امتلاء لجسمها ، ومضروبة بالقطن يريد بياضها ؟ ان هذا لاحمق ما يكون من اللفظ وأسخفه وأوسخه » .[٤٩]

ومن ذلك قوله في الغزل ايضاً :
إن تضرعـتُ بنطـق فحُمـاداهُ السكـوتُ

فكلمة (حُماداه) اي غايته « وهي لفظة كريهة في

www.attaweel.com

معرض النسيب كان يمكنه ان يضع موضعها (قصاراه) »[٥٠]

الدقة :

ومن مقاييس نقد الالفاظ (الدقة) ، واللفظ الدقيق عند النقاد هو الذي يؤدي المعنى المراد ولا يصلح غيره لان يوضع موضعه ، ولا شك في أن الوقوع على اللفظ الدقيق مهمة صعبة لا يقدر عليها الا من عرف اللغة معرفة واسعة ، ووقف على ما بين المفردات من فروق دقيقة . وقد أحس اللغويون منذ وقت مبكر بصعوبة هذا الامر ، فندبوا أنفسهم لتاليف الكتب الخاصة بالالفاظ ، وأودعوا تلك الكتب مابين الالفاظ المتقاربة من فروق ، مثل (الالفاظ الكتابية) للهمذاني ، و (الفروق اللغوية) للعسكري و (فقه اللغة) للثعالبي وغير ذلك .[٥١]

ومع ان ابا تمام واسع الاطلاع على اللغة ، لم يختر اللفظ الدقيق حين قال :

ديمه سمحة القياد سكوبُ مستغيث بها الثرى المكروبُ

ذلك لان « الثرى لا يستغيث بالديمة ، ولا يتلهف الى مائها ، إلا اذا كان جافاً يابساً ، واذا كان كذلك فهو ليس ثرى وانما هو تراب »[٥٢]

وأخطأ أبو تمام اللفظ الدقيق في قوله :

ضعفت جوانح من اذاقته النوى طعم الفراق فذم طعم العلقم

قال الامدي : « قوله (ضعفت) دعاء عليها ، اي أضعف الله جوانح من اذاقته النوى طعم الفراق فذم طعم العلقم ، والجوانح هي الاضلاع الصفار في الصدر ، التي تلي الفؤاد ، الواحدة جانحة ، فكانه يدعو عليه ان تضعف عن حمل حرارة الشوق ، وحرق الفراق ، ان كان صاحبها قد ذاق طعم الفراق وعلم مرارته فذم طعم العلقم . و (ضعفت) كلام ضعيف في هذا الغرض جداً ، و (أضعف الله) لو كان استقام له ان يقولها أحسن وابلغ من (ضعفت) . وعلى أنه كلام لا يشبه بعضه بعضاً ، و (حواس) ههنا أحسن واليق وأشبه من (جوانح) لانه ذكر الطعم فكانت الحواس مع الطعم لفظاً يشبه لفظاً ، ومعنى يشبه معنى »[٥٣] ثم قال : « واظنه لو استوى له ذكر الحواس في البيت لما عدل عنه »[٥٤]

ولم تكن (الخد) هي الكلمة الدقيقة في قول ابي تمام :

لو صح الدمع لي أو ناصح الكمد لظلما صحباك الخد والكبد

وقد علق عليه الامدي قائلًا : « وهذا بيت صالح وليس بالجيد ولم يستو له ان يقول (العين والكبد) لانهما مؤنثتان فكان يقول : (صحبتاك) ، فجعل مكان (العين) (الخد) ، لانه مذكر ولان كثرة البكاء تؤثر فيه ، وتذهب بلحمه ، وذهاب العين بالبكاء اخص من ذهاب الخد . ولو قال : (صحباك العين والكبد) لكان ذلك سائغاً ، ولو كانتا مؤنثتين لان هذا يجوز فيما ليس لتانيثه حقيقة »[٥٥]

ولم تكن (ألفته) هي اللفظة الدقيقة في قول ابي تمام ايضاً :

ملكته الصبا الولوع فمالـ ـفته قعود البلى وسؤد الخطوب

قال الامدي : « وقوله (ألفته) ليس هذا موضع (الفته) لان معنى (الفته) صادفته ، واذا كانت الريح هي التي حلت بالربع فوجه الكلام (جعلته) لو استوى له ، لا (الفته) ، واذا لم يستقم له (جعلته) ولا ما هو في معناها نقض البيت بأسره ، وبناه بالفاظ أخر . وكانه اراد ان يقول : قعود البلى وهدفاً للخطوب ، او غرضا للخطوب ، اي تقع به ابداً وتصيبه ، فلم ينتظم له الوزن »[٥٦]

واخطأ ابو تمام الكلمة الدقيقة في قوله :

عطفوا الخدور على البدور وكلّما ظلم الستور بنور حُور نُهّد

وثنوا على وشي الخدور صيانة وشي البرود بمسجف ومُمَهّد

فقوله : بمسجف وممهد فالمسجف يريد به الحَجَلة وكل ستر مشقوق ، وكل شق منها سجف ، والممهد الوطاء الذي يوطا تحت المرأة ، واذا كان الامر كذلك فكيف يعطف (الممهد) على (السجف) الذي ذكر انهم ثنوه على وشي الخدود ؟ وقد حاول الامدي ان يجد لابي تمام عذراً في عطف (الممهد) على (السجف) فقال : « فان قيل يكون محمولًا على قول الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلداً سيفاً ورمحا

والرمح لا يتقلد ، وقول الاخر : (وزججن الحواجب والعيوانا) والعيون لا تزجج ، وانما اراد ذلك متقلداً سيفاً وحاملًا رمحاً ، واراد هذا وزججن الحواجب وكحلن العيون ، قيل : متقلد السيف هو حامله ايضاً فحسن ان يعطف الرمح على السيف لانهما جميعاً محمولان ، وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زينة فحسن عطف احدهما على الاخر . والممهد لا يشرك الستر في شيء من تغطية الوجه ولا صيانته ، ولا بنيت الفاظ البيت الاعلى ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق الممهد بالمعنى باضمار لفظ ولا غيره »[٥٧]

الإفادة :

و (الافادة) مقياس آخر من مقاييس نقد الالفاظ ، يرجع اليه النقاد لبيان جودة الكلمة او رداءتها . ونعني بـ (الافادة) ان تفيد الكلمة معنى جديداً لم تفده الكلمات الاخرى ، فيكون لها تبعاً لذلك قيمة واضحة في السياق ، لا ان تكون مقحمة فيه ، لا تسهم في اغنائه ، ولا تضيف جديداً اليه .

www.attaweel.com

وبهذا المقياس حكم النقاد على طائفة من مفرادت ابي تمام ، فرأوا انها زائدة ، او حشو يمكن اسقاطه من الكلام ، دون ان يختل معناه . ويبدو ان النقاد فرقوا بين الكلمات المقحمة في الشعر فسموا ما يقع منها في اثناء البيت (حشواً) وسموا ما يقع منها قافية (استدعاء) ، وهما من عيوب الشعر .[٥٨]

ومن الالفاظ التي عدت حشواً في شعر ابي تمام قوله :

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى
والليل اسود حالك الجلباب

فقوله : « الدجى حشو لان في القسم الثاني ما يدل عليه » .[٥٩]

ومن الالفاظ التي عدت (استدعاء) في شعر ابي تمام قوله :

كالظبية الانساء صانت فارتعت زهر الصرار الغض والجثجاثا

وقد نقده العسكري فقال : « ليس في وصف الظبية انها ترتعي الجثجاث فائدة وسواء رعت الجثجاث او القلام او غير ذلك من النبت ، واذا قصد نعت الظبية بزيادة حسن قيل انها تعطو الشجر لانها حينئذ ترفع رأسها فيطول جيدها وتظهر محاسنها » .[٦٠] وكان قدامة قد عرض لهذا البيت ايضاً فعابه لورود كلمة (الجثجاث) فيه زائدة استدعتها القافية .[٦١]

ومما عُد حشواً في شعر ابي تمام قوله :

جنبت نداء غدوة السبت جنبة فخر صريعاً بين ايدي القصائد

قال ابن سنان : « ان قوله : « غدوة السبت حشو لايحتاج اليه ولا تقع فائدة في ذكره ، ومن ذا الذي يؤثر ان يعلم اليوم الذي اعطى الممدوح فيه أبا تمام » .[٦٢]

وارى ان هذا تجن من ابن سنان ، فاذا كان هو لا يهمه اليوم الذي قابل فيه الشاعر الممدوح ، فان ذلك اليوم يعني ابا تمام ، وقد يكون عنده يوماً مشهوداً لا ينساه ، لانه حظي فيه بلقاء كان قد عقد عليه امالًا ، وحدث به النفس طويلًا . واذا علمنا ان الشعراء كان يحجبون بابواب الممدوحين اياماً ، يتعوضون فيها لالام شتى ،[٦٣] ادركنا مبلغ اهمية اليوم الذي يؤذن فيه للشاعر في لقاء الممدوح .

ومما عيب على ابي تمام بسبب ما عده بعض النقاد كلاماً غير مفيد قوله :

تغدو الرياح سوافياً وعوافيا فتضيم مغناها وليس تضيمها

قال الامدي : « وقوله : فتضيم مغناها يعني الرياح انها تضيم المغنى وليس يضيمها ، وهذا ايضاً معنى ليست له حلاوة ، ولا يقود الى فائدة لان المعلوم ان الارض لا تضيم الريح » .[٦٤]

وارى ان الامدي ليس على حق في عده قول ابي تمام (وليس يضيمها) لغواً لافائدة فيه ، لان الشاعر اراد بهذا ان يشير الى جبروت الريح ، وطغيانها على المغنى ، وقيام المغنى ازاءها عاجزاً ذليلًا ، يتلقى ضيمها له ، ثم يقصر عن دفعه ، او النيل من سببه .

ومما عيب على ابي تمام من مفرادت فرضتها القافية ، ولم تأت لاغناء المعنى ، او اضافة جديد اليه قوله :

مهاة النقا لولا الشوى والمآبض وإن محض الاعراض في منك ماحض [٦٥]

قال الامدي : « وقوله : والمآبض عيّ منه ولكنة واراد القافية » .[٦٦]

وقريب من هذا الباب ، اي اجتلاب الالفاظ لاقامة القافية او الوفاء بالوزن ، ان تقسر الكلمة على مكانها لسبب آخر هو تحقيق فن من فنون البديع التي اغرى بها ابو تمام ، وجعلها غايته وبغيته . من ذلك قول ابي تمام :

فاضحى الفلا قد جدّ في بَرْي نَحْضه
وكان زماناً قبل ذلك يلاعبه

قال الامدي : « وقوله يلاعبه لفظة ضعيفة المعنى ، وانما جاء بها من اجل قوله : (جدّ) في بري نحضه ، ليطابق بين الجد واللعب ، اي ان الفلا جد في اخذ لحمه في سيرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا القول (وكان زماناً قبل ذلك يلاعبه) على مذهبه في عشق الطباق الذي لابد له من ان يأتي به ، وان حصل المعنى معه ضعيفاً ركيكاً وربما محالًا » .[٦٧] وقوله :

فاسلمْ سلمت من الانام ما سلمتْ بسلامْ سلمى ومهما أولِ السلمْ

قال الامدي : « فان هذا من كلام المبرد سمين ، وقد عابه عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات في كتاب البديع ، جاء بها في قبح التجسيس » .[٦٨]

الاشتراك :

نظر النقاد العرب الى المفردات في ضوء مقياس آخر ، فذهبوا الى ان الكلمة المشتركة المعنى ، اي التي تدل على معان عدة ، لا تكون جيدة إلا اذا صاحبتها قرينة توضح المقصود بها .[٦٩] وعلق ابن الاثير على قوله تعالى : (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون) : « ألا ترى ان لفظة التعزيز مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام ، وعلى الضرب الذي هو دون الحد ، وذلك هو نوع من الهوان ، وهما معنيان ضدان ، فحيث وردت في الاية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها فخصت معناها بالحسن وميزته عن (كذا) القبيح ، ولو وردت مهملة بغير قرينة واريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح . مثال ذلك لو قال قائل : لقيت فلاناً فعزرته لسبق الى

www.attaweel.com

الوهم انه ضربه وأهانه ، ولو قال : لقيت فلاناً فاكرمته وعززته لزال ذلك اللبس » .[٧٠]

ولكلمة (عقل) معنيان : احدهما معروف والاخر الدية ، الا ان استعمالها بالمعنى الثاني قليل ، واليه قصد ابو تمام حين قال :

أعطيت في دية القتيل وليس لي
عقل ولا حق عليك قديم

وقد عاب ابن الاثير على ابي تمام استعمال كلمة (عقل) دون قرينة تحدد المراد بها ، قال : « فقوله : ليس لي عقل يظن انه من عقل الشيء اذا علمه ، ولو قال : ليس لي عليك عقل لزال اللبس» .[٧١]

ومن المشترك الذي عيب على ابي تمام قوله :

متفجـز نـادمتـه فكـأنني للـدلو او لِلمـزفتين نـديم

قال ابن سنان :[٧٢] « فالدلو ها هنا احد البروج ، ولا اختاره لموافقته اسم الدلو المعروف » وهناك ضرب آخر من الالفاظ المشتركة ، وهي التي اكتسبت مع الزمن دلالة قبيحة ، واصبح النطق بتلك الالفاظ مثيراً لتلك الدلالات في نفوس سامعيها . وقد عاب النقاد هذه الالفاظ ، ونصحوا بالابتعاد عنها ، ومن الامثلة عليها (الغائط) التي وردت في قول عمرو ابن معد يكرب :

وكم من غائط من دون سلمى قليل الانس ليس به كتيع

ذلك لانها كانت تعني البطن من الارض ، ثم صارت تطلق على الحدث .[٧٣] وأرى أن عمرو بن معد يكرب غير ملوم على استعمال هذه اللفظة لانها لم تكن في عصره مستعملة بالمعنى المستقبح الذي ذكرناه . وكلمة (الادبار) التي جاءت في قول ابي تمام :

وغزانما في الروع معتصمية ميمـونة الادبـار والاقبـال

كلمة غير مرضية لانها اقترنت بمعنى مكروه .[٧٤]

الاصطلاحات :

ونعني بها الالفاظ التي اصطنعها اهل العلوم المختلفة للدلالة على معانيهم ، وهي الفاظ نقلوها من معانيها المعروفة ، وصاروا يطلقونها على ما استنبطوه من معان ، ووقفوا عليه من حقائق .

وعلى هذا فالمصطلح كلمة « لها معنى لغوي يفهمه الناس عامة ومعنى آخر لا يفهمه الا اهل ذلك العلم » .[٧٥] الذي استعملت فيه الكلمة . فاذا قلنا مثلاً : (فاعل) فان هذه الكلمة « تدل بمعناها اللغوي على من قام بفعل من الافعال ، على حين هي في عرف النحويين الاسم المرفوع المسند اليه فعل على طريقة فعل او شبهه ، ولفظة (الخبر) معروفة بمعناها اللغوي ، وهي في عرف النحويين الجزء المنتظم منه مع المبتدأ جملة ، وهكذا الامر في الفاظ العلوم الاخرى » .[٧٦]

وحين نشطت حركة العلوم في العصر العباسي ، ووضعت اعداد كبيرة من المصطلحات في مختلف العلوم تسرب بعض تلك المصطلحات الى لغة الشعر ، وجرت على اقلام المنشئين ، فتصدى النقاد لهذه الظاهرة ، وعابوا غزو الفاظ العلم للغة الادب . وكان حازم القرطاجني قد عرض لهذا الموضوع فانضم الى النقاد الذين يدعون الى تنقية لغة الادب من المصطلحات العلمية فقال : « ان البصراء بهذه الصناعة كأبي الفرج قدامة واضرابه قد نص جميعهم على قبح ايراد المعاني العلمية والصناعية والعبارات المصطلح عليها ، ونهوا عن ايراد جميع ذلك في الشعر » .[٧٧] وقال :[٧٨] « ان مستعمل هذه المعاني العلمية في شعره يسيء الاختيار » . ومن هنا عاب ابن سنان قول ابي تمام :

مودة ذهبٍ أثمارهـا شبه وهمة جوهر معروفها عرض

« لان الجوهر والعرض من الفاظ اهل الكلام الخاصة بهم » .[٧٩] ومن ذلك قوله :

كم في الندى لك والمعروف من بدع انا تُفُنِّجتَ اختيت على السنن

« فقد ذكر البدع والسنن وهما من الفاظ الفقهاء » .[٨٠]

ومن هذا الباب قوله في الخمر :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء

« فقد تكلف لذكر الافعال والاسماء كانه من اصحاب النحو » .[٨١] ومنه قوله :

لن ينـال العُلا خصـوصاً ما بالُ لا شيء عليه حجاب
من الفتيان من لم يكن نداه عموماً

« فقد ذكر الخصوص والعموم وهما من الفاظ المناطقة » .[٨٢] ومنه قوله :

فَبْ من لـه شيء يريد حجابه مـا بالُ لا شيء عليـه حجاب

لقد « عبر عن العدم بكلمة لاشيء وهي من كلام الفلسفة » .[٨٣]

غير ان ابن الاثير خالف النقاد القائلين باستبعاد الفاظ العلوم من لغة الادب ، وقبل الالفاظ التي ردها ابن سنان وغيره ، فقال راداً على ابن سنان : « شذ عنه ان صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة لانها موضوعة على الخوض في كل معنى ، وهذا لا ضابط لـه يضبطه ،

www.attaweel.com

ولا حاصريحصره ، فاذا اخذ مؤلف الشعر او الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني واداه ذلك الى استعمال معنى فقهي او نحوي او حسابي او غير ذلك فليس له ان يتركه ويحيد عنه ، لانه من مقتضيات هذا المعنى الذي يقصده ، الا ترى الى قول ابي تمام في الاعتذار :

فان يك جرم منْ اوتك هفوة على خطأ مني فعذري على عمد

فان هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار من الذنب ، وكان ينبغي له على ما ذكر ابن سنان ان يترك ذلك ولا يستعمله حيث (كذا) فيه لفظتا (الخطأ) و (العمد) اللتان هما من اخص الفاظ الفقهاء . وكذلك قول ابي الطيب المتنبي :

ولقيت كل الفاضلين كانما ردّ الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً
واتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

فاختلاف النسج انن احد ما نعي على ابي تمام ، فقال المبرد : « وشعر البحتري احسن استواء ، وابو تمام يقول النادر والبارد ، وهو المذهب الذي أعجب الى الاصمعي ، وما أشبه ابا تمام إلا بغانص يخرج الدر والخُشْلُبَة » .[١٠٨] وبمعنى آخر ان شعر ابي تمام « كان يرتفع احياناً حتى يصل اله ذروة الفن في جودته ، وينخفض احياناً حتى يصل الى الحضيض في رداءته » .[١٠٩] وقد اعترف البحتري نفسه بهذه الحقيقة فقال عن ابي تمام : « جيده خير من جيدي ورديئي خير من رديئه » .[١١٠] وأقر الامدي بذلك فقال :[١١١] « جيد ابي تمام لا يتعلق به جيد أمثاله ، ورديئه مطّرح مرذول ، فلهذا كان مختلفاً لا يتشابه » ويبدو ان هذه الفكرة ظلت مسيطرة على ذهن الامدي ، فكان اذا ظفر بجيد ابي تمام أشاد به ، واذا وقع على رديئه عابه ، وشنّع عليه .

٣

مجازات ابي تمام

مرّ بنا في التمهيد ان الاستخدام الفني للغة يقتضي ان يستعمل الاديب الالفاظ بارتباطات جديدة ، او ان ينشيء بين الكلمات علاقات لم يتعارفها الناس ، ولم يسكنوا اليها في لغتهم المألوفة ، وأشرنا هناك ايضاً الى ان ابا تمام كان مولعاً بهذا النحو من الاستخدام للغة ، مُدْرى بالابتعاد عما الف الناس ، فكان هذا ابرز سمات مذهبه الجديد ، واهم ما استوقف النقاد ، واثار جدالهم حول فنه .

فاكثر النقاد الذين عرضوا لشعر ابي تمام وقر في نفوسهم ان اللغة تتمثل في مجموعة « الفاظ » وضعها العرب ليعبروا بها عن مقاصدهم واغراضهم ، وهي عندهم نوعان : الفاظ حقيقية وضعت في الاصل للدلالة على مسميات معينة ، فاذا ذكرت تلك الالفاظ تمثلت مسمياتها في الذهن ، والفاظ مجازية انتقلت دلالاتها الاصلية الى دلالات اخرى بينها وبين الدلالات الاولى علاقة . وعلى هذا الاساس فان المتكلم إما ان يستخدم اللغة استخداماً حقيقياً ، واما ان يستخدمها استخداماً مجازياً ، الا ان المفضل في الادب ـ كما مرّ في التمهيد ـ هو الاستخدام الثاني . والمتكلم في كلتا الحالين محكوم في نظر جمهرة من نقاد ابي تمام بالعرف اللغوي ، وليس له ان يخل به ، او يحيد عنه ، فيستعمل الالفاظ في غير ما وضعت له ، او يخرج بها الى دلالات لايوجد بينها وبين الدلالات الاولى ضرب من مناسبة ، او نوع من علاقة . فكما ان الشاعر غير حر في الاستخدام الحقيقي للغة ، فلا يحق له ان يغير دلالات الالفاظ ، او يعبر بها عما لم يتقرر في العرف اللغوي ، فكذلك هو غير حر في الاستخدام المجازي ايضاً ، بل « إن عليه ان يرتبط بنوع خاص من العلاقات حددها اسلافه من قبل ، وأي خروج على هذه العلاقات المجازية المحددة سلفاً ، لايعد خروجاً على التقاليد والنظام اللغوي فحسب ، بل يعد خروجاً على قواعد العقل ، وعناصر الواقع الثابتة ايضاً » .[١١٢]

ومعنى هذا ان العرب جرت على ان تستعير بعض الالفاظ لتدل بها على معان اخرى غير المعاني المقررة لها ، او الموضوعة بازائها ، وما على المتكلم ألا ان يتابعهم في ذلك ، فهم استعاروا « الاسد » للرجل الشجاع ، واستعاروا « النور » للعلم واستعاروا « الحمار » للرجل البليد ، فاذا اراد شاعر ان يستعمل هذه الالفاظ استعمالاً مجازياً آخر ، او يطلقها على معان غير هذه ، رُفض استعماله ، وحُكم عليه بالخطأ ، وعلى هذا عيب قول الشاعر :

بل لو رأتني اخت جيراننا اذ انا في الدار كاني حمار

لانه استعمل « حمار » ليدل به على صحته ، وتمام قوته ، ففارق العرف اللغوي الذي درج على تشبيه الرجل البليد بالحمار ، او استعارة الثاني للاول .[١١٣]

لقد كانت احدى سمات التجديد في فن ابي تمام هي استخدام الالفاظ على غير النحو المألوف ، وفي غير المجال الذي كانت ترد فيه .

لم يشأ اكثر نقاد ابي تمام ان يبيحوا له الحرية في استخدام اللغة ، ولم يتصوروا « ان طريقة تفكير الشاعر وحالاته الذهنية يمكن ان تفرض عليه استخداماً خاصاً للغة ، من حيث الدلالة والتراكيب » .[١١٤] ولم يروا ان من حق الشاعر ان يندمج بالاشياء المحيطة به « ويعاملها كما لو كانت هي ذاته » .[١١٥] فينعتها بما يشاء من نعوت ، ويسقط عليها من

www.attaweel.com

نفسه ما يريد من المشاعر ويستعمل اللغة تبعاً لذلك استعمالاً يتلاءم مع هذه الطريقة ، في تصور الاشياء والاحساس بها . ولا شك في ان هذا النحو من التصور والتفكير يؤدي الى ان تنمحي الحدود بين الاشياء ، وتهتز الفواصل بين العناصر الخارجة عن ذات الشاعر ، ويطلق على هذا الشيء ما اعتاد الناس اطلاقه على الشيء الاخر ، فاذا المعنوي المجرد يعبر عنه بما يعبر به عن المحسوس ، واذا الحيوان ينعت بما ينعت به الانسان ، او العكس .

وكان ابو تمام اشد الشعراء خروجاً على ما هو كائن ، ومتعارف عليه من استعمالات لغوية ، فاعطى نفسه قدراً كبيراً من الحرية في استخدام الالفاظ ، واقامة علاقات جديدة بينها ، وكانت طريقته هذه « فخاً يوقع اللغويين في شراك عدم الفهم » ،[١١٦] مما جعل الصولي يسخر منهم سخرية مرة ، ويرميهم بالجهل بالجديد .

لقد صدف اللغويون ومن تبعهم من النقاد عن شعر ابي تمام ، لانهم استشعروا في استخدامه للغة غموضاً ، وغرابة لم يعهدوها في الشعر القديم ، فحملوا عليه ، ووصفوه بانه « شاعر عدل عن مذاهب العرب المالوفة الى الاستعارة البعيدة ، المخرجة للكلام الى الخطأ والاحالة » .[١١٧]

نظر اللغويون ومن تابعهم من النقاد فوجدوا ان العرب كانت تستعير « المعنى لما ليس هو له ، اذا كان يقاربه او يناسبه ، او يشبهه في بعض احواله او كان سبباً من اسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له ، وملائمة لمعناه » .[١١٨] اما ابو تمام فلم يجر في هذه السبيل ، بل كان يضع الالفاظ في غير مواضعها المالوفة ، ويعبر بها عن معان لم تتقرر في العرف اللغوي المأثور ، فجرّ ذلك عليه اعنف النقد ، ودفع الى التعصب عليه ، والتشهير به .

وقد مثل الامدي هذا الموقف ، وتصدى لحرية ابي تمام في استعمال الالفاظ ، فلم يرض عن عدد من مجازات ابي تمام ، وافرط في تانيب الشاعر عليها ، ولابد من الاشارة الى ان موقفه هذا قد استمر في العصور اللاحقة ، فآمن به عدد من النقاد كالرماني والخطابي والقاضي الجرجاني والعسكري وهم معاصرون للآمدي ، وابن سنان وابن رشيق وغيرهما .[١١٩]

لقد أرّق الامدي ما وجد عند ابي تمام من جرأة في استخدام الالفاظ لغير ما وضعت له ، واستهانه بالشائع والمالوف من تعابير العرب ومذاهبهم . من ذلك قول ابي تمام :

تحملت مالو حُمّل الدهر شطره
لفكر دهراً اي عبايه أثقل

قال الامدي : « فجعل للدهر عقلاً ، وجعله مفكراً في اي العبائن اثقل ، وما شيء هو أبعد من الصواب من هذه الاستعارة . وكان الأشبه والاليق لما قال (تحملت مالو حمل الدهر شطره) ان يقول : لتضعضع او لانهد ، او لأمن الناس صروفه ونوازله »[١٢٠]

وقال ابو تمام :

أنزلته الايام عن ظهرها من بعد اثبات رجله في الركاب

وقال :

يانهر قوم من اخدعيك فقد أضججت هذا الانام من خرقك

فلم يرض الامدي ، ومن تبعه من انصار القديم عن هذا (التشخيص) للدهر والايام ونعتهما بما لم يتعارف من نعوت ، ووجدوا في امثال هذه التعابير خروجاً على السنن العربي المورث ، اذ لم يؤثر عن عربي انه جعل للايام ظهراً او ركاباً ، او جعل للدهر اخدعاً ، واذا كان احد من العرب قد تورط في شيء من هذا ، فلا يحق للمتاخر ان يجاريه فيه ، لان ما يصدر عن العرب على سبيل الندرة او السهو لا يمكن ان يسوغه متاخر ،[١٢١] او يجعله اصلاً يحتذيه او يستكثر منه .[١٢٢] كما لا ينبغي « للمتاخر ان يحتذي الاخذ الا للجيد لمختار لسعة مجاله ، وكثرة امثلته » .[١٢٣]

لقد صدر نقاد ابي تمام من اللغويين ومن تبعهم من المحافظين عن نظرة تكبر القديم ، وتغلو في التعصب له ، وترى في « الاستعمال الجديد للغة خروجاً على الموروث من تقاليدها ومواضعاتها ، ولو انهم لم ينظروا الى الجديد هذه النظرة لقبلوا ما جاء به ابو تمام من استعمالات ، ان فارقت مذاهب العرب ، فانها وفت لما يقتضيه الفن الشعري من اعادة لتشكيل المفردات على النحو الذي تمليه الرؤية الشعرية ، او تفرضه طبيعة التجربة .

ثانياً : لغة الشعر عند أبي تمام من منظار لغوي

لقد اعترف غير واحد من نقاد ابي تمام واللغويين الذين نظروا في شعره بانه « فقيه لغة وناقد الفاظ ، فاذا وقع في الخطأ فمرد ذلك الى التسامح الذي ياخذ به نفسه احياناً ، والى كلال الخاطر احياناً اخرى » .[١٢٤] ولهذا كان الامدي يقول عند ذكر بعض اخطائه : « وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسامح نفسه في الفاظه ، فيقع في الغلط عند كلال خاطره » .[١٢٥] وكان المعريّ يسلّم لابي تمام بمعرفته باللغة « فما عرف أنه خطاه في استعماله للفظة ما ، بل كان يقف موقف ملتمس العذر له » .[١٢٦] وكان عبد القاهر الجرجاني لا يضيق بدقيق معاني ابي تمام ، ولا بغامض افكاره « وانما شدد نكيره عليه لتعسفه في اللفظ ، لان اللفظ ليس مما يرضي عبد القاهر ، وتعسف ابي تمام في اللفظ يقوده احياناً الى مخالفة النحو ، ومخالفة النحو يعتبرها الجرجاني كبيرة من

www.attaweel.com

الكبائر ، واعتبر الاعجاز كله قائماً على معرفة النحو وفقهه ، وعد النحو وسيلة لمعرفة النظم » .[١٢٧] وكان عبد القاهر يقول : « ان أبا تمام ما أتي من سوء فهمه للنحو ، وقلة معرفته بالعربية ، وانما أتي من تهاونه ، ومن انصرافه نحو تزويق اللفظ ، فالهاه ذلك عن الجوهر ، وشغله بالعرض » . وقال : « وقد عرفت ما جناه التهاون بهذا النحو من الاجتراء على ابي تمام ، حتى صار ما يُنمى عليه منه أبلغ شيء في بسط لسان القادح فيه ، والمنكر لفضله ، واحضر حجة للمتعصب عليه » .[١٢٨]

وسنعرض في هذه الفقرة من البحث طائفة من اراء اللغويين في شعر ابي تمام ومناقشاتهم وسنرى ان بعضها يتعلق بالنحو وبعضها يتصل بالصيغ او الصرف ، واما القسم الثالث فيتناول الدلالة .

١
النحو

الظروف :

اخطأ ابو تمام في استعمال (بين) فقال :

ومشهد بين حكم النل منقطع صاليه أو بحبال الموت متصل

فقال الامدي : « فقوله : بين حكم الذل ، لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصلح فيها (بين) غير ان حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك حكم العز والعز ، فكما لا يقال : بين العز كذلك لا يقال : بين حكم العز ، حتى يقال هذا ، لان (بين) هي وسط بين شيئين . فان قال : ان حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلى بها ، فكانه ذهب بقوله (بين) الى معنى وسط ، أي ومشهد وسط حكم الذل . قيل : وسط لا يحل محل بين ، وبين لا يحل محل وسط ، لانك تقول : البئر وسط الدار ، ولا تقول : البئر بين الدار » .[١٢٩]

حروف الجر :

قال ابو تمام :

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بان باهل ولم تغرب على غرب

جاء في النظام : « يقال : بنى على اهله ، ويكرهون : بنى باهله ، وهو خطا . وكان الاصل فيه ان الداخل على أهله كان يضرب عليها قبة ليلة دخوله بها ، فقيل لكل داخل باهله : بان » .[١٣٠] وقال المعري : « ولا يمنع القياس دخول الباء في هذا الموضع ، ويكون المعنى : بنى باهله ، اي من أجلهم ، كما يقال للرجل : خذ هذا بما فعلت ، اي من اجله » .[١٣١] ولكن دفاع المعري هذا لم يقنع ابن المستوفي ، فقال : « واللغة انما يوقف عليها مع السماع ، والاول الصحيح »[١٣٢]

الاعراب :

اخذ الامدي على ابي تمام قوله :

ثانية في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان اذهما في الغار

فقال : « معنى هذا البيت ان بابك صار في الصلب جاراً لمازيار ، وهو ثانيه في كبد السماء ، ولم يكن ثانياً لاثنين اذ هما في الغار ، انما هو ثاني اثنين في الصلب ، الذي هو رذيلة ، وليس هو ثانياً لاثنين في الغار ، لان تلك فضيلة . فكان يجب ان يقول في البيت : (ولم يكن لاثنين ثانياً) لانه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ، فليس الى غير النصب سبيل في البيت » .[١٣٣]

واخذ الامدي على ابي تمام قوله :

يوم أفاض جوى افاض تمزيا خاض الهوى بحري حجاه المزبد

فقد قال الامدي : « قال : بحري حجاه المزبد وخفضه ، وكان وجهه ان يقول (المزبدين) صفة للبحرين » .[١٣٤]

وقال ابو تمام :

يا غالبا لا غالبٌ لمزيـة بل الموت لاشك الذي هو غالب

فقال ابو العلاء : « اذا صحت الرواية على هذا اللفظ فقوله (ياغالباً) نداء للذي يرثيه ، واسمه غالب ، وتنوين العلم المنادى محسوب من الضرورات ، والنحويون فيه مختلفون ، بعضهم يختار النصب ، وبعضهم يختار الرفع ، وهذا البيت ينشد نصباً :

ضربت صدرها اليّ وقالت ياعديًا لقد وقتك الاواقي

وبيت الاحوص ينشد على الوجهين :

سلام الله يامطرٌ عليها وليس عليك يامطر السلامُ[١٣٥]

وقال ابو تمام :

جدير بان يستحيي الله بانيا به ثم يستحيي الندى ويراقبهُ

فقال المعري : « يستحيي الثانية رفعها لمكان القافية ، لان لا يمكنه فيها غير ذلك ، ولو جعلها في موضع نصب لكا قد أسكن الياء في موضع التحريك ، وذلك رديء ، والكوفيون يرون ان الناصب اذا لم يصحب الفعل فرفعه جائز ، ورفعه (يستحيي) اوكد لرفع (يراقبهُ) لان المرفوع يكون تابعاً لمثله » .[١٣٦] اما ابن المستوفي فقد خرج رفع (يستحيي) الثانية بقوله : « ولو رفعه على تقدير (ثم هو يستحيي الندى) كان جائزاً » .[١٣٧]

التعدي واللزوم :

www.attaweel.com

قال ابو تمام :

عسا أظلما حاليْ ثمنَ أجليا ظلاميهما عن وجه أغرَ أشيب[١٣٨]

قال ابو العلاء : « جعل (أظلم) ها هنا متعدياً ، وذلك قليل في الاستعمال ، وهو في القياس جائز ، وهو على قياس من قال (ظَلِمَ الليل) في معنى (أظلم) . فان ادعى ان (أظلم) هنا غير متعد ، وأن (حاليّ) منصوب كانتصاب الظرف ، فان قوله (اجليا ظلاميهما) يرفع ذلك ، لانه عدّى (أجليا) الى الظلامين » .[١٣٩]

التحذير :

قال ابو تمام :

انظر واياك الهوى لا تُمكنَنْ سلطانه من مقلة شوساء[١٤٠]

جاء في النظام : « قال التبريزيّ : كان النحويون المتقدمون يرون ان إياك ينبغي أن تستعمل مع الواو ، مثل قولهم : اياك وزيداً ، وينكرون مجيئها على غير ذلك ، الا أن تستعمل بـ (أن) كقولك : اياك أن تقوم ، والواو عندهم مُرادة . وكذلك تحذف حروف الخفض معها كقولك : أمرتك أن تفعل ، والمراد بان تفعل ، فان عدمت قبح عندهم الحذف الا في ضرورة الشعر كقوله :

اياك اياك المراء فانه الى الشرّ دعّاء وللشر جالب

واصحاب هذا القول يرون ان الحذف جاز مع (المراء) لانه مصدر لـ (ماريت) فهو مؤد معنى (ان تماري) ، وكذلك الهوى مؤد معنى (ان تهوى) . وأما غير هؤلاء فلا يرون بحذف الواو باساً مع (أن) وغيرها . لانهم يتاولون المعنى اذا قالوا (اياك ان تقوم) على تقدير (احذرك ان تقوم) » .[١٤١]

اضافة (ذو) الى الضمير :

قال ابو تمام :

غدوث بهم أمدُ نوي ظلًا واكثر من ورائي ماء واد

جاء في النظام :« وقوله : (ذوي) اضاف (نوي) الى الضمير ، وذلك قليل ، فاما النحويون فيذكرون أنه لا يجوز » .[١٤٢]

يتضح مما تقدم ان ما نسب الى ابي تمام من مخالفة للغة ، او استعمال للاوجه الضعيفة منها ، ليس سببه ـ كما قال الامدي وغيره ـ الجهل بالتعبير الراجح ، او المجمع على صحته ، وانما مبعثه مسامحة نفسه ، او احتفاله بالمعنى على حساب التعبير .

لقد اخذ الامدي على ابي تمام استعمال بعض الصيغ الصرفية ، من ذلك قوه :

اخي ان الصِّبا استمر به سيرُ الليالي فانهجت بُزُلُه

فقال : « أنهجت (بُزُلُه) يريد (بروده) وقُفل على تجمع فُعُل » .[١٤٣]

وقوله :

ملكته الصبا الولوع فسالـ فته قَعُود البلى وشُؤزَ الخطوب

قال الامدي : « قوله (الصبا الولوع) وانما اراد المولعة بالهبوب لانها اكثر الرياح هبوباً ، ولا اعلمه يقال : وُلِع بالشيء يولع فهو ولوع ، ولكن قد سمعت وَلِعَ يَلِعُ مثل وزع يزع و وَلُوع بكذا ، واللغة المعروفة أُوْلِعت بالشيء فانا مُولَع والمصدر الوُلوع » .[١٤٤]

واخذ عليه غير الامدي في مجال الصيغ قوله :

أجبتـه معلنا بـالسيف منصلتا ولـو اجبت بغير السيف لم تجب

قال المعري : « لا يعرف صَلَتَه فانصلت » .[١٤٥]

وقوله :

على كل رؤاد الملاط تهدمت عريكته العلياء وانضم حالبه

قال المعري : « والعريكة السنام ... وقوله العلياء جاء بها كالمستعارة ، وليس هذا من مواضع العلياء الممدودة ، ولكنه من مواضع العُليا في وزن (الفُعْلى) لانه لو قلت : تهدم سنامه قلت الاعلى ، والفُعلى أنثى الأفعل » .[١٤٦]

وقد ياتي ابو تمام بالصيغة على غير المعهود لان القياس يجيزها ، نحو قوله :

حواقلة وأصبية ترامت بهم بيدُ الدخالة والسهوب

قال ابو العلاء المعري : « حواقلة اي شيوخ الواحد حوقل وأصبية جمع صبي على القياس والمستعمل صبية »[١٤٧]

وقد يستعمل ابو تمام صيغاً مرجوحة ، غيرها أولى بالاستعمال ، من ذلك قوله :

وأحيا سبيل العدل بعد دُثوره وأنهج سُبل الجود حين تعفّت

قال ابن المستوفي : « أنهج بمعنى أوضح من قولهم طريق نهج اي واضح ، والمعروف نهجت الطريق بغير الف اذا أوضحته ، ولعل أنهج لغة فيه » .[١٤٨]

وقوله :

قمر تبسمَ عن جُمان نابت فظلِلْتُ أرمقُه بعين الباهت

قال ابن المستوفي : « وقوله (باهت) الافصح عندهم (بُهِت) فهو مبهوت وقد حكي (بَهَت) ، وقرأ بعضهم

www.attaweel.com

(فَبَهِت الذي كفر) » ، ثم قال : « قال الجوهري بَهِت الرجل بالكسر اذا دهش وتحيرُ وبهُت بالضم مثله ، وافصح منهما بُهِت كما قال جل ذكره (فبهُتَ الذي كفر) لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال : رجل باهت ولا بهيت ، قاله الكسائي » .[١٤٩] وقوله :

ضَرَح القذى عنها وشذّب سيقُه
عن عِيصها الخُرّاب والخُبآثا

قال ابو العلاء : « الخُراب جمع خارب وهو الذي يسرق الابل خاصة ، والخُبآث جمع خابث ، والمستعمل خبيث . وقد يجوز ان يقال خابث على غير الفعل أي ذو خبث كما يقال : تامر ولابن » .[١٥٠] وقوله :

ففي كل نجد في البلاد مغائر مواهبُ ليست منه وهي مواهب

قال المعري : « يعني بـ (غائر) غوراً ، وكانه على حذف الموصوف ، تقديره (وفي كل نجد ومكان غائر) .[١٥١]

وقد وقف اللغويون امام طائفة مما اورد ابو تمام من صيغ ، فذهبوا الى انها لم ترد عن شاعر قبله ، من ذلك قوله :

بمختبل ساج من الطرف أحور ومُقْتَبِلٍ صاف من الثغر أشنب

قال المعري : « واذا رويت ومقْتَبل فهو التقبيل .. والاقتبال من التقبيل معدوم في الشعر العربي القديم » .[١٥٢] وقوله :

من المُعْطِيات الحُسْن والمؤتياتِه
مُجَلْبَبةً أو فاضلاً لم تُجَلْبَبِ

قال المعري : « اذا رويت (فاضلاً) فهو فاعل من (الفَضْل) . يقال : امرأة فُضْل اذا كانت في ثوب واحد . وقد يقال : ثوب فُضْل اذا لم يكن على اللابس غيره . فان ثنيت انه قال (فاضلاً) وهو يزيد (الفضل) فهي كلمة لا تعرف في غير كلام المتقدمين ، وانما المعروف : تفضلت المرأة اذا كانت فُضْلاً » .[١٥٣]

وقد يورد ابو تمام الكلمة مجموعة ثم يعاملها معاملة المفرد فيثنيها ، من ذلك قوله :

إن الأسنة والمذاني مذكّرا فلا الصيامي لها فُرّ ولا النُجُبُ[١٥٤]

قال المعري : « وقوله : مذكّرا جعل الاسنة والمذاني كالاثنين وان كل واحد منهما يقع على جمع ، وهذا مثل قول الاسود بن يعفر :

ان المنية والحتوف كلاهما يوفي المخارم يرقُبان سوادي

فجعل الحتوف وهو جمع كالواحد فثنّى » .[١٥٥]

ومما تجدر الاشارة اليه في مجال الصيغ ابي تمام شغف ابي تمام باستعمال المثنى شغفاً واضحاً دون ضرورة .[١٥٦] من ذلك قوله :

تحملت مالو حُمّل الدهر نصفه لفكر دهراً اي عباييه اثقل

وقوله :

لو أن دهراً ردّ رجع جوابي أو كفّ من شاويه طول عتابي

وقوله :

أبقي على جولة الايام من كَثَفَيْ رَضوى وأسيُ في الاقاني من مَتَل

وقوله :

فما فضّتا رَضوى ولازكّنُ مُعبِلي ولا الطَودُ من رُكْنٍ ولا أنف يَنْبُلا
بأثقل منه وطأة حين يغتدي فيَلْقى وراء الملك نَحساً و كَلْكَلا

٣

الدلالة

استعمل ابو تمام كثيراً من الالفاظ في غير ما وضع لها من معان ، فانكر اللغويون ذلك عليه ، لانهم تمسكوا بالمسموع ، ولم يرتضوا ان تستعمل الكلمة في معنى غير الذي استعملها فيه العرب الذين يوثق بلغتهم ، ومن هذا الضرب من الاستعمال اللغوي قوله :

ومها من مها الخدور وآجا ل ظباء يُسر عُن في الاجال

فقال النقاد : « وهذا مما غلط فيه ابو تمام لان الاجال جمع (إجْل) وهو القطيع من البقر ، يقال : سرب من قطا وسرب من نساء وسرب من ظباء » .[١٥٧]

ولم يرض الامدي عن ابي تمام لانه استعمل (الالتدام) وهو ان تضرب النساء صدروهن في النياحة بمعنى (اللطم) وهو ضرب الخدود . قال ابو تمام :

لها من لوعة البين التدام يُعيدُ بتفسجا وردَ الخدود

فقال الامدي : « والتدام النساء في النياحة انما هو ضرب الصدور ، واللطم هو ضرب الخدود ، هذا المستعمل المعروف في كلامهم ، فاللطم هو الذي يعيد بنفسجا وورد الخدود لا الالتدام ، لان الالتدام أن تاخذ المرأة جلداً أو نعلاً فتدق به صدرها .. فجعل ابو تمام لطم الوجه لدماً » .[١٥٨] ثم عاد الامدي فقال : « ولعل ذلك يسوغ فان اللدم هو دق الشيء على الشيء » .[١٥٩]

ولم يرض اللغويون عن استعمال ابي تمام الفعل (جُذّ) بمعنى (جُبّ) في قوله :

من نكبة محفوفة بمصيبة جُذّ السنامُ لها وجُذّ الغارب

www.attaweel.com

جاء في النظام : « فاستعمال (جُبّ) في السنام اكثر من كلامهم في استعمال (جُذّ) وتعدوه الى الظهر ، قال النابغة : ونمسك بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

ولم يقولوا : بعير أجذ السنام »[١٦٠]

وقد غير ابو تمام مجال استعمال الفعل (فَرِك) فقال : واذا نعمةٌ امرىء فَرِكتْهُ فاهْتَصِرْها اليك وَلْهى غَرُوبا

فقال المعري : « فَرِكتْه من (فِزْك النساء) وهو بغضهن لازواجهن ، وما أخرج الفِزْك من الحيوان الى غيره من الشعراء أحد قبل الطائي . وقوله : فاهتصرها اي اعطفها اليك »[١٦١] وفات المعري ان ينبه هنا ايضاً على أن أبا تمام نقل (الغَرُوب) من وصف للمرأة الى وصف المعنويات ، فقد وصف بها النعمة ، وهذا مذهب عُرف به ابو تمام ـ كما تقدم ـ وهو استعمال الالفاظ بعلاقات جديدة ، لم يألفها الناس .

٤
ظواهر لهجية

كان ابو تمام كثير الاستعمال للغة طيِّىء التي هي قبيلته »[١٦٢] ومن مظاهر هذه اللغة في شعره :

أ) لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة) التي نسبت الى قبائل اخرى من اليمن مثل بلحرث « ولكن الحاح ابي تمام عليها يوثق الرأي القائل بانها لغة طيىء »[١٦٣] من ذلك قوله : وأكْيس بمجْدٍ عاد فيه نواله وشاعر قوم عُذْنَ فيه قصائدُه

وقوله :

شجا في الحشا تزداده ليس يفتزّ بـه مُذْ أمالي وإنـي لَمُبْلِـزُ

ب) حذف تاء التانيث التي تلحق الماضي حين يكون فاعله جمعاً غير عاقل كقوله :

كم انجبوا قمراً جلا أفعالُه قمراً ومكرُمةً تناغي الفرقدا

ولو قال : (جَلَت افعالهُ) لاستقام الوزن .

ج) استعمال (ذو) الموصولة ، يقول :

أنا ذو غَزَتْ فإن غَزَتْك جهالة فانا المقيم قيامة العُذال

د) وفي شعره من لغة طيىء قوله :

هل أورق المجدُ الا في بني أُدِدٍ أو اجتُنَى منه لولا طيىء ثمرُ

قال التبريزي : « اذا كان اخر الماضي ياء وقبلها كسرة فبعض طيىء تقلبها الفاً فيقولون (اجتُنى) في (اجتُبي) و (اقتُدي) في (اقتُدي) ومن العرب من يسكن وهي لغة رديئة ، والاغلب ان يكون الطائي سكن الياء ههنا ولم يستعمل اللغة الطائية »[١٦٤]

هـ) ويقول قوم من طيىء (دفن البناه من المكرماه : موضع قول غيرهم (دفن النبات من المكرمات) فيقول ابو تمام : إحدى بني بكر عبد مَناةٍ بين الكتيب الفرد والأمواهِ ألقى النصيف فانت خانلةُ أمنية الخالي ولهو اللاهي المُنى

(و) وكان ابو تمام « ذا علم بلهجات القبائل »[١٦٥] فلنحن نرى قوله :

نَخِلْتُ قصائدي إن مرّ يومٌ ولما اقض فيه منك نَحْبا وكنتُ اذن كانت فانّ مثلي اذا ماكان مثلك كان كلبا

فاستعمال ضمير الرفع (انت) بعد الكاف لغة نادرة[١٦٦]

ثالثاً : تعقيب وتقويم

لابد من الاشارة الى جملة أمور تميز بها مذهب أبي تمام الشعري ، أولها أنه شاعر جانب (الطبع) واعتمد على (الصنعة) في شعره ، فقد كان يعتقد ان الشعر فن ، وأن الفن لا يؤاتي صاحبه اذا ارسل نفسه على سجيتها ، وأخذ ما يطفو على سطح خاطره ، بل لابد له لكي يكون الفن فناً ان يبذل جهداً ، وأن يشقى شقاءً ما ، حتى يستوي له الفن ، ويؤاتيه منه مايرضيه .

والثاني أنه أخذ بما كان مسلم بن الوليد قد اكثر منه من فنون البديع ، مما عرف بالمحسنات البديعية من طباق وجناس وغيرهما ، فاضاف اليها ماسماه بعض النقاد (التشخيص) او (التجسيم) ، فظهر شعره على نحو لم يألفه النقاد ، ولم يصادفوه في نماذج القدماء من شعراء العربية ، فاستقبحوه واستغثوه ، وهو لم يكن في جملته قبيحاً ولا غثا ، وانما كان (غريباً) حقاً ، وهناك فرق بين (القبح) و (الغرابة) ، ولعل خير ما يمثل مجانبة ابي تمام مذهب مسلم في المحسنات قوله :

كل يوم لـه وكـل أوان خلق ضاحك ومـال كئيب

فانت ترى في البيت (طباقاً) بين الضحك والكآبة ، ولكن أبا تمام لم يكتف بمجرد المطابقة بل زاد عليها لوناً آخر هو

www.attaweel.com

(التصوير) أو (التشخيص) اذ جعل الخلق في صورة ضاحك ، وأبرز المال في هيئة شخص كئيب . وقوله :

ألبست فوق بياض مجدك نعمة
بيضاء تسرع في سواد الحاسد

فالبياض والسواد لا يكفيان ابا تمام وهو الصناع الحاذق ، الذي لا ياخذ عفو خاطره ، ولا يغترف من فيض طبعه ، وانما يضيف الى الطباق لوناً جديداً من الفن شغف به ، واكثر منه هو (التشخيص) او (التجسيم) او ما سماه ارسطو « قوة وضع الاشياء تحت العين » .[١٦٧] فعبر عن (غيظ) الحاسد بالسواد وعن (نعمة) ممدوحه بالبياض « ولم يكتف بذلك بل جعل هذا البياض يسرع في السواد وينتشر فيه » .[١٦٨] وقوله :

وأحسن من نَـوْرٍ تفتحه الصبـا بياض العطايا في سواد المطالب

لقد استخدم الطباق حقاً ، ولكنه لم يكتف به ، بل شفعه بلونين آخرين هما (التشخيص) و (الحركة) فقد مثل العطايا في هيئة شخص اتخذ البياض لوناً ، ومثل المطالب شخصاً آخر اتشح بالسواد ، وجعل احدهما يتحرك في الاخر وينتشر فيه .

ان هذا النمط من التعقيد في تناول مقومات الفن الشعري هو ما امتاز به ابو تمام ، وانفرد به عن استاذه مسلم بن الوليد ومن سبقه من شعراء ، كانوا يعمدون الى الطباق او الجناس على نحو لا إغراق فيه من جانب ، ولا توشية له بلون جديد آخر هو (التشخيص) او (التجسيم) .

والثالث أنه شاعر استجاب لمتطلبات عصره الثقافية والحياتية ، فالم بالوان العلوم التي ظهرت في ذلك العصر ، وأخذ نفسه بثقافة وسعة حتى قالوا عنه انه عالم .[١٦٩] وقد اضاف الى هذه الثقافة ثقافة فنية لا تقل عنها اتساعاً « فقد كان مستبحراً في الرواية » .[١٧٠] وقد اثرت ثقافته العلمية في شعره فظهرت فيه بعض مصطلحات العلوم ، كما سلف به البيان ، وأثرت في شعره ايضاً ثقافته الفنية ، فظهرت في ذلك الشعر أمارات تدل على خبرة واسعة في اللغة ، وتمرس طويل بالاساليب .

وأما النقاد الذين تناولوا شعر ابي تمام ، واكثرهم من المحافظين ، فقد اتسم نقدهم بامرين :

الاول (الاحتكام الى القديم)

ولا نريد هنا أن نغض من مبدأ الاحتكام الى القديم في اللغة ، ذلك لان وعي الناقد بالتقاليد الادبية التي سبقته وعاصرته أمر محمود ، ومبدأ ضروري ، يعين الناقد على تقويم الجديد ، وميز عناصره ، غير أن الذي يخشى منه هو ان يسرف الناقد في تطبيق هذا المبدأ الى الحد الذي « يحول بين الفنان وبين (كذا) التطور الذي ينشده » .[١٧١]

كانت عودة بعض النقاد الى القديم واستشارتهم اياه في أمر الجديد موقفاً لا مفر منه للناقد الحصيف ، ليستطيع أن يقف على ما حققه المجددون ويفصل فيه ، فيقبل الاصيل ويرفض الزائف . فالجديد لايُعرف الا بعرضه على القديم وموازنته به ، وهذا مبدأ سليم . ولكن الذي تورط فيه النقاد المحافظون هو أنهم لم يرجعوا الى القديم لتعرف العناصر الجديدة ، وتقدير قيمتها ، بل رجعوا اليه ليتخذوا منه مقياساً ، فيقبلوا ما وافقه وسار على نهجه ، ويرفضوا ما خرج عنه ، ولم يلتزم امثلته ، او المعروف المتداول من قيمه وأساليبه .

ومما سوغ لهم هذا الموقف ، وصرفهم عما ينشأ عنه من ضرر باللغة والادب ، ايمانهم « بان الشعر والنثر نوعان من الكلام البليغ ، لا شكلان متمايزان من التعبير » .[١٧٢] وقد ذهبوا نتيجة لذلك الى أن دور الكلمات في الشعر لا يتمايز من دورها في النثر ، وان طبيعة استخدامها في كلا الفنين واحدة ، واذ فهموا الامر على هذا النحو لم يمنحوا الشاعر حرية التعامل مع اللغة ، ولم يجيزوا له ان يتعدى اطرها الثابتة ، أو يحطم نسقها المتعارف عليه . وهم بذلك لم يصدروا عن فقه صحيح للفن الشعري ، وما تفرضه التجربة أحياناً من تصرف في اللغة ، واستخدامها استخداماً خاصاً . وبعبارة اخرى ان اولئك النقاد نظروا الى الشعر نظرة بعيدة من طبيعته بوصفه نشاطاً تخييلياً ، من حقه ان تستخدم اللغة فيه على الوجه الذي يتطلبه هذا الضرب من النشاط ، وحاولوا ان يفرضوا عليه نظاماً صارماً لا يسمح باي تجديد أو تغيير . وهذا يعني أنهم تغافلوا عن ان اللغة في الشعر « لغة انفعالية مرنة ، بل أميز ما فيها هو هذه المرونة التي تجعلها متجددة دائماً بتجدد الانفعالات . فالانفعالات الجديدة تستخدم الالفاظ دائماً استخداماً جديداً » .[١٧٣]

وتبعاً لمعيار (الاحتكام الى القديم) او الى ما يسمى (طريقة العرب الاوائل) عاب اسحاق الموصلي ابا تمام وقال له : « يافتى ما أشد ما تتكىء على نفسك ، يعني أنه لا يسلك مسلك الشعراء قبله ، وانما يستقي من نفسه » .[١٧٤] وقد مر بنا في (مجازات ابي تمام) ما انكره النقاد ولا سيما الامدي من بعض المجازات لخروجها عن مذهب العرب الاوائل في الاستخدام الفني للغة ، ونذكر هنا بيته المشهور :

رقيق حواشي الحلم لو أن بكفيك ما ماريت في أنه برد

فقال ابن عمار : « هذا هو الذي اضحك الناس منذ سمعوه والى هذا الوقت » .[١٧٥] اما الامدي فلم يكتف بالسخرية من الشاعر ، بل قال : « والخطأ في هذا البيت ظاهر

www.attaweel.com

لاني ما علمت احداً من شعراء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقة ، وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة » .[١٧٦] ثم ساق عدداً كبيراً من الشواهد على ذلك ، اختارها من شعر الجاهليين والاسلاميين ونكر ان العرب كانوا اذا ذموا الحلم وصفوه بالخفة ، وايد ما ذكره بشواهد كثيرة . ثم اخذ على ابي تمام انه وصف البرد بالرقة ، وقد جرت العادة بوصفه بالمتانة والصفاقة . واستنكر اشد الاستنكار قوله (لو ان حلمه بكفيك) . ثم اقر الامدي بان ابا تمام لم يكن ليذهب هذا المذهب في شعره ، جهلًا منه بالمتعارف من وصف الحلم ، او نعت البرد ، فكثيراً ما جاء في شعره وصف الحلم بالرزانة ، مقتدياً في ذلك بالعرب ، ولكنه كان يجنح في بعض الاحيان الى مغايرة ما تعارف عليه الناس .[١٧٧] وفي « مغايرة ما تعارف عليه الناس » من علاقات بين الالفاظ يكمن الابداع احياناً ، وتبرز شخصية الاديب .

لقد عبر الناس مثل ابي تمام وهم يجدون الحلم مقروناً الى الرزانة ، او موصوفاً بها ، ويجدون البرد مضموماً الى الفلظة او المتانة ، فجاء ابو تمام فلم يشا ان يجري على ما جرى عليه الناس او ان ياخذ بقوالبهم واستعمالاتهم ، فانشا للحلم قريناً آخر ، وابتدع له الفاً جديداً ، وضم اليه كلمة اخرى ، غير التي لصقت به زمناً طويلًا فقال : (رقيق الحلم) وفعل مثل ذلك في تغيير العلاقة بين (البرد) و (المتانة) فقال (رقيق البرد) . ان عمل ابي تمام هذا هو الذي قصدناه حين قلنا ان الاديب يبتعد احياناً ، عن العلاقات المالوفة بين الالفاظ ، وينشيء سياقاً لغوياً جديداً غير الذي سكن اليه الناس ، والفوه .

ثم ان ابا تمام ان خرج عن طريقة العرب في التعبير عن (الحلم) و (الحليم) فانه لم يخالف اهل عصره في ذوقهم اذ « ليس بغريب ان يوصف الحلم في عصر تسوده الحضارة والمدنية كالعصر العباسي بغير ما يوصف به في عصر تسوده البداوة والروح القبلية كالعصر الجاهلي الذي كان يحتكم الى مبدأ القوة في كل شيء حتى لتبدو قيمه الخلقية والاجتماعية منتزعة من هذا المبدأ » .[١٧٨] ولهذا كان من الطبيعي ان يوصف حليم العصر الجاهليّ بإنه الثابت كالطود ويوصف حليم العصر العباسي عصر الحضارة والمدنية بانه الرجل الرقيق الذي لا يواجه مصاعب الحياة الا بوجه باش وثغر مبتسم .[١٧٩] ولا عيب ايضاً في « أن يشبه ابو تمام رقة حلم هذا الرجل برقة البرد ونعومته ، فليس من الضروري ان يكون البرد خشناً صفيقاً على الدوام ... ولا شك أن برد عصر البداوة كان يختلف عن برد عصر الحضارة » .[١٨٠] فبرد عصر البداوة كان ينسج من الصوف ، ولذا شاع وصفه بالمتانة والصفاقة ، « أما برد عصر الحضارة فيبدو انه كان يصنع من أنسجة رقيقة ناعمة تمشياً مع رقة حياة اهل ذلك العصر وترفهم في اختيار الملابس والازياء » .[١٨١]

والثاني (التعصب على ابي تمام) والإفراط في ظلمه ، فقد أخذوا عليه ما لو اتسموا بالنصفة ، لما رأوا أنه معيب ، أو مردود . ومن امثلة مبالغتهم في نقده ، ورد ما لا عيب فيه من الفاظه وعباراته ، وقوف الامدي عند لفظة (عكاظ) في قوله :

قد عهدنا الرسوم وهي عكاظ للصِبَا تزدهيك حسناً وطيبا

قال الامدي : « ولو قال : (سوق) لكان أجود من قوله (عكاظ) ، وانما ذهب الى ان عكاظ من اعظم الاسواق التي تجتمع اليها العرب ، وقد كان يكفيه ان يقول (سوق) فياتي باللفظة المستعملة المعتادة . وان السوق قد تكون عظيمة آهلة ، وعكاظ أيضاً سوق ، فما وجه التخصيص في موضع العموم ، والعموم أجود وأليق ؟ وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال ، والرديء لا يعتبر به ، وعلى ان الوزن لم يمكنه من سوق » .[١٨٢]

لم يكن الامدي مصيباً في عيب كلمة (عكاظ) وتفضيل كلمة (سوق) عليها ، فمما اعتاده الشعراء ان يذكروا في قصائدهم اسماء المواضع والاماكن ، لما لهذه الاسماء من ايحاء ، وما تبعث به من طلال ، فعكاظ تستدعي الى الخاطر ما يعرفه السامع عنها ، وما كان يشاهد فيها ، فيكون ذلك أدعى الى تاثره باللفظة ، وانجذابه نحوها ، اما كلمة (سوق) فكلمة عامة ممسوحة ، لا تتعلق بها نكريات ، ولا تبعث خيالًا او عاطفة . وقد أشار بعض النقاد المحدثين الى ان معنى اللفظة في الشعر لا يقتصر على المعنى المقابل لها في المعجم « بل يشمل الارتباطات التي تبعثها اللفظة مفردة ومجتمعة مع غيرها . فوظيفة اللفظة في الشعر ليست مجرد الاشارة الى الشيء ، وانما للغة في الشعر مكونات ثنائية وثلاثية ورباعية كما يقول كولرد ؟ » .[١٨٣]

ووقوف الامدي عند قول ابي تمام :

وأقــاحٍ منـوّرٌ في بطــاح هزه في الصباح روض أريض

قال الامدي : « وقوله : (هزه في الصباح روض أريض) ليس بالجيد اللائق ، لان الاقاحي هي من الروض ، والروض انما يهزه ويحركه الندى والنسيم ، لا أن يهز بعضه بعضاً » .[١٨٤]

لقد ذهب الامدي الى (الهز) الحقيقي المادي الذي يسببه النسيم ، وتراه العيون ، وغفل عما قصده الشاعر من هز آخر لاتحسه العيون ، وانما يتمثل للخيال فحسب ، ويتراءى للنفس وحدها ، وهو تمايل خفيّ تبعثه رؤية الازهار بعضها بعضاً ، وهي مطلولة تستقبل الصباح على غصونها ، فتنتشي وتتمايل ، لكانني بالامدي ، وهو يعيب عبارة ابي تمام هذه ، يجهل لغة الشعر ، وتخفى عليه أسرارها .

ولعل من أوضح ما يمثل ظلم بعض النقاد لابي تمام وقوف الامدي عند قوله :

إن الخليفة قد عزت بدولته دعائم الدين فليعزز به الادب

www.attaweel.com

لقد علق الامدي على هذا البيت قائلًا : « دعائم الدين قد توصف بانها ثبتت او تمكنت وأقامت وتوطدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل ، الا ترى أنها اذا وصفت بغير هذا الوصف قيل : وهت وسقطت وخرّت ، وهذا ان لم يكن خطأ فليس بالجيد لانه لفظ موضوع في غير موضعه » .[١٨٥]

إن ما قصده ابو تمام بلفظة (عزّت) هو أعمم وأشمل من اللفظ الذي اقترحه الامدي وارتضاه ، فعز الدعائم يعني ثباتها ودوامها وهيبتها وامتناعها على من يرومها بنقض او تهديم . ولعل كلمة (عزّت) اليق بلغة الشعر ، وما تقتضي من اثارة وتحريك خيال . من كلمة (ثبتت) او (رسخت) وغيرهما . وقد أصاب ابن المستوفي في رده الامدي هذا بقوله : « كان الامدي كثير التعصب على ابي تمام ، وهذا الذي ذكره هو على ما ذكره من اوصاف الدعائم حقيقة ، فاما مجازاً فجائز جوازاً حسناً ، هذا اذا كانت لفظة (عزت) ضد لفظة (ذلت) ، فان اراد بها الشدة والقوة من قولهم (من عزّ بزّ) ومن التفسير في قوله تعالى (فعززنا بثالث)[١٨٦] مخففاً ومشدداً اي قوّينا وشددنا فهو موضوع في موضعه على الحقيقة » .[١٨٧]

ومثل ذلك وقوف بعض النقاد عند قول ابي تمام :

اعانقني ما أخشى الليل مركباً وأخشنُ منه في الملمة راكبهُ

اذ قال هذا الناقد : « ولم يسمع مركب خشن » ،[١٨٨] بل المسموع (مركب وَعِر) . وليست بي حاجة للتعليق على هذا النقد ، فاللغة ليست من الجمود والتحجر بحيث لا تبيح للشاعر ان يستبدل بـ (وعر) كلمة (خشن) .

وقبل أن اختم الكلام على ظلم بعض النقاد لابي تمام ، أود الاشارة الى ان هذا الظلم دعا المرزوقي الى تاليف كتاب سماه (الانتصار من ظلمة ابي تمام) نقل التبريزي في شرحه كثيراً منه ، ومما نقله عبارات المرزوقي في تعنيف اولئك النقاد ، واتهامه لهم بانهم لم يفهموا معاني ابي تمام ، من ذلك قوله : « اعلم ان هذا المنكِر لم يفهم عن الرجل ما قاله ، فاخذ ينكر عليه مالم يدركه » ، وقوله : « ولعمري ان اكثر من يذهب عن طرائقه فانما يؤتى من سوء الفهم عنه » ،[١٨٩] وقوله غير مرة : « وأنكر بعضهم قول ابي تمام كذا ... وقد ظلم هذا الانسان ابا تمام ظلما مبيناً » .[١٩٠]

٣

وأما اللغويون الذين عرضوا لشعر ابي تمام فقد برزت في ملاحظاتهم عليه ظواهر ثلاث :

الاولى (التقيد بالعرف اللغوي) ، وزاد من صرامة هذا التقيد أن جل اللغويين الذين تصدوا للنظر في شعر ابي تمام كانوا من مدرسة البصرة ، وهي مدرسة لا تحتكم الى الشائع المطرد من كلام العرب ، ولا تقيم وزناً للمحاولات اللغوية الفردية ، لانها تحاول ان تقيم للغة نظاماً شاملًا ، ونسقاً صلباً ، لايمكن تجاوزه ، او الخروج عنه ، وقد اعتمدت في اقامة هذا النظام اللغوي الشامل على اساس من لغة الشعراء القدامى ، بمعنى ان هذه اللغة اصبحت المعيار الاساس الذي يرجع اليه في تقويم شعراء المحدثين ، ومثل هذا المعيار يحتم على اللغوي أن يصم بالخطأ « كل من يخرج في اللغة على ما عرفه الاولون وانتهوا اليه » .[١٩١]

وتبعاً لهذا المعيار اي التقيد بلغة القدامى ، او ما يسمى طريقة العرب الاوائل ، رفض اللغويون كثيراً من الصيغ والعبارات التي ابتعد فيها ابو تمام عن الأطر اللغوية المألوفة . واذا اردنا لغوياً تمثلت في احكامه النظرة المحافظة للغة فهو الامدي ، الذي قدمنا أنه كان تلميذاً مخلصاً للاخفش ، درس عليه ، ورضي منهج البصريين . لقد هدف الامدي الى تجميد اللغة ، واراد لابي تمام أن يسير داخل الاطر اللغوية الجاهزة ، وقد جاء حكمه المشهور « اللغة لا يقاس عليها » دليلًا على شدة محافظته . وواضح أن « مثل هذا الحكم العام يتنافر مع الفهم الصحيح للفن وحركة تطوره المستمرة التي لا تنتهي عند حد ، كما انه لا يؤثر بالضرورة في منهج الناقد الذي قد يهمل في حدود هذه النظرة المحافظة الكثير من الجديد الذي قد يحققه الفنان » .[١٩٢] ومن هنا حكم الامدي على ابي تمام بالخطأ كلما خرج عن تقاليد اللغة والادب .[١٩٣] من ذلك انه عاب على ابي تمام قوله : (لا أنت أنت ولا الزمان زمان) ، ورأى في قوله : (لا أنت أنت) تعبيراً شعبياً ، وانكر أن يقيسه على قول من قال من العرب القدامى (ولا العقيق عقيق) .[١٩٤] « وفي هذا ما فيه من تأثر بالاحتكام الى القديم وحده ، ونظرته الى اللغة القديمة نظرة تقديس » .[١٩٥]

وفي نقد الامدي امثلة اخرى على ما تورط فيه من تعنت وجمود ، نتيجة لتمسكه بان « اللغة لا يقاس عليها » ، ولا ينبغي التجديد فيها ، من ذلك انه نقد ابي تمام :

فانزع الى نخر الشؤون وعذبه فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد

قال الامدي : « قوله (يذهب بعض جهد الجاهد) اي بعض جهد الحزن الحزن الجاهد اي الحزن الذي جهدك ، فهو الجاهد لك . ولو كان استقام له (بعض جهد المجهود) لكان أحسن واليق ، وهذا أعذب وأظرف . وقد جاء ايضاً (فاعل) بمعنى (مفعول) قالوا (عيشة راضية) بمعنى مرضية ، و (لمح باصر) وانما هو (مبصر فيه) واشباه هذا كثيرة معروفة ، ولكن ليس في كل شيء ، وانما ينبغي ان تنتهي باللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره ، فان اللغة لا يقاس عليها » .[١٩٦]

www.attaweel.com

وليس على ابي تمام بأس اذا استعمل (جاهد) بمعنى (مجهود) لان لاستعماله هذا نظائر كثيرة ، كقولهم (عيشة راضية) بمعنى (مرضيّة) و (نهار صائم) اي مصوم فيه ، ولكن نظرة الامدي الضيقة للغة هي التي دفعته الى عدم الاخذ بالقياس ، ثم تخطئة ما لم يرد عن القدماء .

والثانية (عدم التفريق بين الخطأ والتطور) .

ان كل لغة يمروها مع الزمن شيء من التحول ، وذلك لصلتها الوثيقة باحوال متكلميها ، والعربية على الرغم من تمتعها بقسط كبير من الاستقرار اذا ما قيست بغيرها من اللغات ، لم تتوقف يد التطور عن العمل فيها . ولكن اللغويين نظروا الى التطور الطبيعي على انه خطأ تجب حماية اللغة منه . لقد كان المفروض ان يفرقوا « بين ما هو خطأ وانحراف وما هو توليد وتجديد وتطور فكلاهما حدث جديد في اللغة ، وتبديل في بعض ظواهرها ، ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة ، وسنن نموها وناموس حياتها وقواعد فطرتها ، ويخل بنظمها .. واما التجديد والتطور فهو تبديل واحداث يجري وفقاً لسننها ويناسب مع فطرتها ، وينقاد لقواعدها ، ويوافق روحها وخصائصها » .[١٩٧] وكان على اللغويين ايضاً ان يدركوا ان « اللغة كائن مرموق يستحيل وضعه في وعاء واحد ، او الحكم عليه ليسير في خط محدد » .[١٩٨]

ولعل اهم ما يوضح هذه الظاهرة في نقد اللغويين لابي تمام موقفهم من استعماله بعض الكلمات في غير المسموع من معانيها ، مع ان التطور الدلالي للمفردات ظاهرة لا تسلم منها لغة ، ولا تفتأ تعرض للكلمات في جميع العصور . قال ابو تمام :

وصنيعة لك ثيب أهديها وهي الكعاب لعائذ بك مصرم
جلت محل البكر من عطفي وقد زُفت من العطفي زفاف الأيم [١٩٩]

فخطأه الامدي لانه استعمل (الايم) بمعنى (الثّيب) . قال الامدي : « الايم هي التي لا زوج لها بكراً كانت او ثيباً ، قال الله عز وجل (وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم) أفتراه اراد : أنكحوا الثيبات من النساء دون الابكار؟ انما اراد تبارك اسمه : أنكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن . فالثّيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لازوج لها تدخل في الاية ، قال الشماخ :

يقر بعيني أن أحدث أنهار وان لم لنلها ايّم لم تتزوج

وهذا هو المعنى المعروف في كلامهم » .[٢٠٠]

وقد علق إحسان عباس على نقد الامدي هذا قائلًا : « إن الالفاظ تنزلق احياناً انزلاقاً يسيراً عما وضعت له بمرور الزمن ، وهذا مبدأ لا يحترمه أمثال الامدي القائلون بالتدقيق » .[٢٠١]

وقال ابو تمام يصف فرساً :

مامقرب يختال في أشطانه ملآن من ضلّف به وتلهوق

فخطأه الامدي ايضاً لانه استعمل (الصلف) بغير المسموع من معناها . قال الامدي : « قوله (ملآن من صلف به) يريد التيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة . فاما العرب فانها لا تستعملها على هذا المعنى وانما تقول : قد صَلِفت المرأة عند زوجها اذا لم تحظ عنده ، وصَلِف الرجل كذلك اذا كانت زوجه تكرهه . والصَلِف الذي لا خير عنده » .[٢٠٢]

فتطور دلالة كلمة (الصَلِف) وتغير معناها امر لا بأس باقراره ، لان له في العربية نظائر كثيرة ، وهو على ذلك ليس خطأ ، وانما هو من باب التطور ، واكتساب بعض الالفاظ دلالات جديدة .

الثالثة (التعجل في الحكم بالخطأ) .

وهذه ظاهرة طبعت اعمال النقاد اللغويين عامة ، فالعربية لغة واسعة واللغويون عجزوا عن الاحاطة « بكل الكنز اللفظي الحيّ الذي كان مستعملًا اذ ذاك في عالم البادية » .[٢٠٣] واذا كان الامر كذلك فقد كان على اللغويين ان يتريثوا في الحكم بالخطأ على هذا الاستعمال او ذاك ، ولكن الذي حدث غير هذا ، فقد كان بعض اللغويين يتعجلون فيرمون هذا المنشيء او ذاك بالخطأ ، ولو انهم انعموا النظر ، وأمعنوا في الاستقصاء ، لوجدوا في كلام العرب ، والرفيع منه احياناً ما يسند الاستعمال الذي خطؤوه أو استهجنوه . وقد فطن القاضي الجرجاني لهذه الظاهرة فقال : « ولم أستحسن ما يتسرع اليه بعض اصحابنا من التصريح بمخالفة اللغة » .[٢٠٤]

واذا تذكرنا ان ابا تمام « كان مستبحراً في الرواية » ،[٢٠٥] واسع الاطلاع على شعر العرب ، تشهد بذلك اختياراته منه ، أدركنا ضرورة التريث في تخطئته . غير ان الذي يتأمل ماوصم به ابو تمام من الخطأ يجد الكثير منه مما يمكن ان يسوّغ بلغات العرب الكثيرة ، التي ربما غابت عمن صرّح بتخطئته .

نقل التبريزي عن المعري في نقده لبيت ابي تمام :

وليست بالعوان الفَنْس عندي ولا هي منك بالبكر الكعاب

انه قال : « وقد عاب بعض اهل العلم هذا البيت بقوله (الفنس) وقال : ولم تسمع الفَنس الا في صفة الناقة ، كانه يذهب الى أنه اراد (العانس) فوضع (الفَنس) مكانها . ويجوز ان يكون هذا غلطاً على الطائي ممن عابه ، اذ كان مثله مع أدبه لا يغيب عنه مثل ذلك » .[٢٠٦] ومن ذلك تقدهم كلمة (أغاض) في قوله :

يوم أغاض جوى اغاض تعزيا خاض الهوى بحري حجاه المزبد

قال ابو العلاء : « وانما يقال غاض الماء وغاضه غيره ،

www.attaweel.com

ويجوز أن يكون الطائي سمع أغاض في شعر قديم ، وان لم يكن سمع فالقياس يطلقه » .(٢٠٧)

ومن تعجل النقاد بتخطئة ابي تمام ردهم قوله :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا ان تلك ذوابل

قال ابن ابي الاصبع : « وقد غلط الامدي في تغليط ابي تمام في هذا البيت حيث (كذا) زعم انه نفى عن النساء لين القدود ، معتقدا ان الرماح سميت ذوابل للينها ، والمعروف عن اهل اللسان ضد ذلك ، لان العرب تقول : رمح ذابل اذا كان صلب الكعوب ومن ذلك قولهم : ذبلت شفتاه اذا يبستا ، ولا تعرف العرب الذابل الا اليابس الذي جفت رطوبته ، ومن ذلك قولهم : نواة ذابلة اذا جف ماؤها واخذت في اليبس . وابو تمام لايشك احد انه ابصر من الامدي باللغة ، واقعر منه في معرفة اللسان العربي » .(٢٠٨)

وقد كان ابو العلاء المعري اكثر النقاد تحفظاً في تخطئه ابي تمام ، فقد ذكرنا أنه كان يسلم له بمعرفته باللغة ، وحاول ان يلتمس له العذر بدلًا من ان يصمه بالخطا . ومن اجل ذلك كثرت في شرح المعري لشعر ابي تمام امثال العبارات الاتية : « ويجوز ان يكون الطائي سمعها في شيء من شعر العرب » .(٢٠٩) و «يجوز ان يكون ابو تمام سمعها في شعر قديم لانه كان مستبحراً في الرواية » .(٢١٠) وانطلاقاً من هذه النظرة لثقافة ابي تمام اللغوية ، كان الزمخشري ـ و تبعه الرضي في ذلك ـ يستشهد بشعر ابي تمام ، ويقول عنه : « انه وان كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » .(٢١١)

الخاتمة

كان هذا بحثاً عرضت فيه للغة شاعر كبير من شعراء العربية ، كانت لغته اهم ما شغل نقاده ، وابرز ما اتسم به مذهبه الشعري الجديد .

وقد تتبعت فيه آراء نقاد ابي تمام في لغته ، واستجليت المقاييس التي احتكموا اليها في استجادة ما استجادوا ورفض مارفضوا منها ، كما اجتهدت في أن أتلمس الجديد الذي تميزت به طريقة ابي تمام في تعامله مع اللغة ، وهي لم تظهر عند شاعر قبله ، فاثارت لذلك جدل النقاد ، وقامت حولها حركة نقدية نشيطة ، ولكنها على كثرة ما انتجت من آراء ، وما أريق فيها من مداد ، لم تستطع استكشاف حقيقة تلك الطريقة ، وبيان مقدار ما حققت للشعر العربي من تطور . ولعلي لا اعدو الصواب اذا قلت ان هذه الطريقة لم يقيض لها ان تفهم ، وتوضع في مكانها من مسيرة تطور الشعر العربي الا في العصر الحديث .

ولم اكتف في هذا البحث بتتبع آراء النقاد ، سواء اكانت صادرة عن منظار نقدي خالص يبحث عن الجيد والرديء ، ام صادرة عن منظار لغوي يميز الصواب من الخطا ، بل تومتها وأظهرت ما اتسمت به من موضوعية حيناً ، وتعصب ومجانبة للصواب حيناً آخر .

وبعد فأرجو ان اكون وفقت لتقديم صورة واضحة للغة ابي تمام ، بما انطوت عليه من جديد رفيع يدل على عبقرية وتفرد ، وما شابها من غث ساق اليه تسامح ابي تمام ، وكلال خاطره احياناً .

الهوامش

(١) الموشح : ٣٨٥ .
(٢) الثابت والمتحول : ١٠٦ .
(٣) نفسه : وينظر مصدره .
(٤) نفسه : وينظر مصدره .
(٥) نفسه : ١٠٦ ، ١٠٧ وينظر مصدره .
(٦) نفسه : ١٠٧ وينظر مصدره .
(٧) الثابت والمتحول : ١٠٧ .
(٨) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٥١ .
(٩) اخبار ابي تمام : ١٥ ، ١٦ .
(١٠) الثابت والمتحول : ١١٤ وينظر مصدره .
(١١) اخبار ابي تمام : ٢٤٤ .
(١٢) الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام : ٤٥ .
(١٣) معجم الادباء : ١٩ / ١٢١ وينظر الحركة النقدية : ٤٥ .
(١٤) العمدة : ٢ / ١٠٥ .
(١٥) الشعر والشعراء : ١ / ٦٢ .
(١٦) نفسه : ١ / ٦٢ ، ٦٣ .
(١٧) الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام : ٣٣٣ .
(١٨) اللغة والمجتمع : ٥ ، وينظر : قضايا النقد الادبي والبلاغة : ١٥ .
(١٩) قضايا النقد الادبي والبلاغة : ١٥ ، ١٦ .
(٢٠) النقد الادبي (سهير القلماوي) : ٦٧ .
(٢١) سر الفصاحة : ٧٨ .
(٢٢) نفسه .
(٢٣) نفسه .
(٢٤) نفسه : ٧٩ .
(٢٥) المثل السائر : ١ / ١٨٨ وما بعدها .
(٢٦) المثل السائر : ١ / ٢٨٤ .
(٢٧) النحل : ٨ .
(٢٨) المثل السائر : ١ / ٣٨٧ .
(٢٩) الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام : ٣٧٩ وينظر مصدره .

www.attaweel.com

(٣٠) الموازنة : ١ / ٢٨٣ .
(٣١) نفسه : ١ / ٤٤٣ .
(٣٢) نفسه : ١ / ٤٤٣ ، ٤٤٤ .
(٣٣) سر الفصاحة : ٥٧ .
(٣٤) نفسه : ٦٣ . الصهصلق من الاصوات الشديد . والشرج : ضمّ .
(٣٥) اطلخم : ٦٣ . أظلم ، عشواء مؤنث الاعشى الذي لا يبصر ليلاً ، والغُبش جمع أغبس وغبساء وهي المظلمة ، والدهاريس : الدواهي .
(٣٦) المثل السائر : ١ / ١٦٣ .
(٣٧) النظام : ٥ / ٢٧٩ .
(٣٨) الصورة الفنية : ٣٨١ .
(٣٩) نفسه .
(٤٠) الحيوان : ٣ / ٣٩ .
(٤١) عيار الشعر : ٨ .
(٤٢) نقد الشعر : ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٤٣) سر الفصاحة : ١٥٣ .
(٤٤) نفسه .
(٤٥) نفسه .
(٤٦) الموازنة : ١ / ٢٢٨ .
(٤٧) سر الفصاحة : ١٥٣ .
(٤٨) نفسه : ١٥٤ .
(٤٩) الموازنة : ٢ / ٩٤ .
(٥٠) النظام : ٥ / ٢١ .
(٥١) الالفاظ اللغوية : ٧٤ ، ٧٥ .
(٥٢) مجلة مجمع اللغة العربية : ١ / ٣٢٠ .
(٥٣) الموازنة : ٢ / ٥٤ .
(٥٤) نفسه : ٢ / ٥٥ .
(٥٥) نفسه : ٢ / ٦٦ .
(٥٦) نفسه : ١ / ٤٦٦ .
(٥٧) الموازنة : ١ / ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
(٥٨) ينظر في هذين المصطلحين : نقد الشعر : ٢١٤ ، ٢١٨ و الصناعيين : ٤٥٠ .
(٥٩) العمدة : ٢ / ٧٠ .
(٦٠) كتاب الصناعيين : ٤٥٠ .
(٦١) نقد الشعر : ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٦٢) سر الفصاحة : ١٤٣ .
(٦٣) ينظر في ذلك : طراز المجالس : ٧٨ وما بعدها .
(٦٤) الموازنة : ١ / ٤٦٥ .
(٦٥) يقول : انت مهاة النقا لولا القوائم والاظلاف ، وانك أشبهتها وان اعرضت عني
(٦٦) الموازنة : ٢ / ٦٠ . ومن هذا قول ابي تمام : (سر الفصاحة : ٦٢) :

قد بالطلول الدراسات غلائا اضحت حبال قطينهنّ رثاثا

قال ابن سنان : « ولا احب ايضاً تسمية ابي تمام صاحبه (غلائة) ونداءه بالترخيم » وقال : « واذا كان الروي قاده الى ذلك فليت شعري من حظر عليه القوافي واقتصر به على التاء » .
(٦٧) الموازنة : ٢ / ٢٨٥ .
(٦٨) الموازنة : ١ / ٢٦٩ . السلام الحجارة ، سلمى : جبل ، السلم شجر له شوك .
(٦٩) العمدة : ٢ / ٦٦ .
(٧٠) المثل السائر : ١ / ١٨٥ .
(٧١) نفسه : ١ / ١٨٧ .
(٧٢) سر الفصاحة : ٧٦ . والمرزمان : نجمان .
(٧٣) نفسه : ٧٦ ، ٧٧ .
(٧٤) نفسه : ٧٧ .
(٧٥) دروس في البلاغة : ٢٢٠ .
(٧٦) دروس في البلاغة : ٢٢٠ .
(٧٧) منهاج البلغاء : ٢٥ .
(٧٨) نفسه : ٣١ .
(٧٩) سر الفصاحة : ١٥٩ .
(٨٠) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٤٨ .
(٨١) نفسه .
(٨٢) نفسه : ١٤٩ .
(٨٣) نفسه .
(٨٤) المثل السائر : ٢ / ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٨٥) العمدة : ١ / ١٢٣ .
(٨٦) الموازنة : ١ / ٢٢٧ .
(٨٧) نفسه : ٢ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٨٨) سر الفصاحة : ٦٥ .
(٨٩) نفسه : ٦٦ .
(٩٠) النظام: ٣ / ١٧٩ .
(٩١) النقد الجمالي : ١٣٢ .
(٩٢) المثل السائر : ١ / ٢٩٢ وما بعدها .
(٩٣) سر الفصاحة : ٨٧ .
(٩٤) نفسه : ٩١ .
(٩٥) نفسه : ١٤٩ .
(٩٦) نفسه : ١٥٠ .
(٩٧) المثل السائر : ١ / ٣٠٣ .
(٩٨) نقد الشعر : ٣٢ .
(٩٩) المثل السائر : ٢ / ٤٦ .
(١٠٠) الموازنة : ١ / ٢٨٠ .
(١٠١) أسرار البلاغة : ١٣٠ .
(١٠٢) الموازنة : ١ / ٢٧٨ .
(١٠٣) نفسه : ٢ / ١٩ .
(١٠٤) نفسه : ٢ / ١٧ ، ١٨ .
(١٠٥) ابو تمام الطائي : ٧٧ . الاهيس والالأيس : الشجاع وجمع الألأيس اللبيس .
(١٠٦) عيار الشعر : ٦ .
(١٠٧) الوساطة : ٢٢ .
(١٠٨) أخبار ابي تمام : ٩٧ .
(١٠٩) الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام : ١٩٨ .
(١١٠) اخبار ابي تمام : ٦٧ .
(١١١) الموازنة : ١ / ٥ .

www.attaweel.com

(١١٢) الصورة الفنية : ٢٥٧ .
(١١٣) الكامل : ٣ / ١٣٢ .
(١١٤) الصورة الفنية : ٢٥٨ .
(١١٥) نفسه : ٢٤٧ .
(١١٦) نفسه : ٢٦٠ .
(١١٧) الموازنة : ١ / ٢٢ .
(١١٨) نفسه : ١ / ٢٥٠ .
(١١٩) الصورة الفنية : ٢٦٨ .
(١٢٠) الموازنة : ١ / ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
(١٢١) نفسه : ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٥ .
(١٢٢) نفسه : ١ / ٢٥٩ .
(١٢٣) نفسه : ١ / ٤١٧ .
(١٢٤) الحركة النقدية : ٢١١ .
(١٢٥) الموازنة : ١ / ٥٠٥ .
(١٢٦) الحركة النقدية : ٤١٨ .
(١٢٧) الحركة النقدية : ٣٥٦ .
(١٢٨) اسرار البلاغة : ١٣٣ .
(١٢٩) الموازنة : ١ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(١٣٠) النظام : ٢ / ٣٤ .
(١٣١) نفسه .
(١٣٢) نفسه .
(١٣٣) الموازنة : ١ / ٢٩ .
(١٣٤) نفسه : ١ / ٢٧٩ .
(١٣٥) النظام : ٣ / ١٦١ .
(١٣٦) نفسه : ٣ / ٦١ .
(١٣٧) نفسه .
(١٣٨) عني بحانيه عقله ودهره ، وقوله : عن وجه لمرد اشهب يعني نفسه ، ويقول : هو صغير السن ولكن سيبه عقله ودهره .
(١٣٩) النظام : ٢ / ٢٠٧ .
(١٤٠) يحذر المخاطب ان يغلبه الهوى فينظر الى الامور نظر الاشوس اي بمين مائلة .
(١٤١) النظام : ١ / ٢١٧ .
(١٤٢) النظام : ٥ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .
(١٤٣) الموازنة : ٢ / ٢١٠ .
(١٤٤) نفسه : ١ / ٤٦٦ .
(١٤٥) النظام : ٢ / ٤٧ .
(١٤٦) نفسه : ٣ / ٥٠ ، ٥١ .
(١٤٧) النظام : ٣ / ٢١١ .
(١٤٨) نفسه : ٥ / ١٢ .
(١٤٩) نفسه : ٥ / ٢٠ .
(١٥٠) نفسه : ٥ / ٩٩ . ضرح : دحن ودفع . العيص : الشجر الملتف .
(١٥١) نفسه : ٣ / ٦٦ .
(١٥٢) نفسه : ٢ / ٢٠٤ .
(١٥٣) النظام : ٢ / ٢٠٥ .
(١٥٤) الماذي الدروع والبلب الدروع القديمة والصياصي قرون محددة كانت تركب في الرماح مكان الاسنة .
(١٥٥)النظام : ٣ / ١٠٤ ، ١٠٥ .

(١٥٦) ابو تمام الطائي : ٧٧ . شقيق : قصر باليمامة ، زكن بضمتين موضع باليمامة ، يذبل : جبل .
(١٥٧) الموشح : ٥٠٥ .
(١٥٨ ، ١٥٩) الموازنة : ٢ / ٣٠ .
(١٦٠) النظام : ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(١٦١) النظام : ٢ / ٢٥٩ .
(١٦٢) ابو تمام الطائي : ٧٥ .
(١٦٣) نفسه .
(١٦٤) شرح التبريزي لديوان ابي تمام : ٢ / ٣٠٢ .
(١٦٥) ابو تمام الطائي : ٧٦ .
(١٦٦) نفسه .
(١٦٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٥٨ .
(١٦٨) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ١٥٤ ، ١٥٥ .
(١٦٩) نفسه : ١٤٨ .
(١٧٠) نفسه : ١٤٩ .
(١٧١) قضايا النقد الادبي والبلاغة : ٤١٦ .
(١٧٢) الصورة الفنية : ١٤٢ .
(١٧٣) الاسس الجمالية في النقد العربي : ٣٤٠ .
(١٧٤) قضايا النقد العربي والبلاغة : ٤١٧ .
(١٧٥) الموازنة : ١ / ١٣٨ وتنظر زيادة الواو في قوله (وانى) وهو خطأ قديم فيما يبدو .
(١٧٦) نفسه : ١ / ١٤٢ .
(١٧٧) نفسه .
(١٧٨) الخصومة بين القدماء والمحدثين : ١٧٥ ، ١٧٦ .
(١٧٩) نفسه : ١٧٦ ، وينظر : من حديث الشعر والنثر : ١٠٤ .
(١٨٠) الخصومة بين القدماء والمحدثين : ١٧٦ .
(١٨١) نفسه .
(١٨٢) الموازنة : ١ / ٤٨١ .
(١٨٣) قضايا النقد الادبي والبلاغة : ٣٨٢ ، ٣٨٣ .
(١٨٤) الموازنة : ٢ / ١٠٥ .
(١٨٥) نفسه : ٢ / ٣٥٧ .
(١٨٦) يس : ١٤ .
(١٨٧) النظام : ٣ / ١٠٨ .
(١٨٨) نفسه : ٣ / ٤٣ .
(١٨٩) شرح التبريزي : ٢ / ٨٣ .
(١٩٠) نفسه : ١ / ٣٥٤ .
(١٩١) قضايا النقد الادبي والبلاغة : ٤١٧ .
(١٩٢) قضايا النقد الادبي والبلاغة : ٤١٧ .
(١٩٣) النقد المنهجي عند العرب : ١١٩ .
(١٩٤) نفسه : ١٢٤ .
(١٩٥) قضايا النقد الادبي والبلاغة : ٤١٧ ، ٤١٨ والنقد المنهجي عند العرب : ١٢٤ .
(١٩٦) الموازنة : ١ / ٢١٦ .
(١٩٧) خصائص العربية : ٦٧ .
(١٩٨) اللغة والحضارة : ١٣٨ .
(١٩٩) يريد ان هذه الصنيعة ليب عندك لانك قد اصطنعت مثلها مراراً ، وهي الكعاب – يريد البكر – عند هذا العائد بك لانها اول ما اصطنعت اليه ، او لانها اكبر صنيعة صنعتها عنده ، والمصرم .

www.attaweel.com

القليل المال .
(٢٠٠) الموازنة : ١ / ١٥٩ .
(٢٠١) تاريخ النقد الادبي : ١٧٩ .
(٢٠٢) الموازنة : ١ / ٢٣٤ .
(٢٠٣) العربية : ٨٨ .
(٢٠٤) الوساطة : ٨١ .
(٢٠٥) شرح التبريزي : ١ / ٣١٥ .
(٢٠٦) نفسه : ١ / ٢٩٠ .
(٢٠٧) نفسه : ٢ / ٤٦ .
(٢٠٨) تحرير التحبير : ٣٧٠ .
(٢٠٩) شرح التبريزي : ١ / ٢٩٢ .
(٢١٠) نفسه : ١ / ٣١٥ .
(٢١١) الاقتراح : ٢٦ .

المصادر

● ابو تمام الطائي (نجيب البهبيتي) ، دار الكتب ١٩٤٥ .
● أخبار ابي تمام (الصولي) تحـ . خليل محمود عساكر ورفيقيه ، بيروت ، د . ت .
● أسرار البلاغة (عبد القاهر الجرجاني) تحـ .هـ . ريتر ، استانبول ١٩٥٤ .
● الاسس الجمالية في النقد العربي (عز الدين اسماعيل) ط ١ ، ١٩٥٥ .
● الالفاظ اللغوية (عبد الحميد حسن) معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ .
● الاقتراح (السيوطي) طبع مجتبائي بلا تاريخ .
● تاريخ النقد الادبي عند العرب (د . إحسان عابس) ط ١ ، بيروت ١٩٧١ .
● تحرير التحبير (ابن ابي الاصبع المصري) تحـ . د . حفني محمد شرف ، القاهرة ١٣٨٣ هـ .
● الثابت والمتحول (أودونيس) ، ج ٢ ، دار العودة ، بيروت ط ١ ، ١٩٧٧ .
● الحركة النقدية حول مذهب ابي تمام (د . محمود الربداوي) دار الفكر للطباعة والنشر .
● الحيوان (الجاحظ) تحـ . عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، ١٩٣٨ .
● خصائص العربية (محمد المبارك) معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٠ .
● الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم (د . عثمان موافي) الاسكندرية .
● دروس في البلاغة وتطورها (د . جميل سعيد) بغداد ١٩٥١ .
● سر الفصاحة (ابن سنان الخفاجي) شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ١٦٩٦ .
● شرح ديوان ابي تمام للخطيب التبريزي .
● الشعر والشعراء (ابن قتيبة) تحـ . احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر١٩٦٦ ، ١٩٦٧ .
● كتاب الصناعيين (ابو الهلال العسكري) تحـ . علي محمد البجاوي ورفيقه ط ١، ١٩٥٢ .
● الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي (د . جابر عصفور) القاهرة ١٩٧٤ .
● طراز المجالس (شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي) القاهرة ١٢٨٤ هـ .
● العربية (يوهان فك) ترجمة د . عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١ .
● العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (ابن رشيق القيرواني) تحـ . محيي الدين عبد الحميد ط ٢ ، ١٩٥٥ .
● عيار الشعر (ابن طباطبا العلوي) تحـ . د . طه الحاجري ورفيقه القاهرة ١٩٥٦ .
● الفن ومذاهبه في الشعر العربي (د . شوقي ضيف) ط ٣ ، ١٩٥٦ .
● قضايا النقد الادبي والبلاغة (د . محمد زكي العشماوي) القاهرة ١٩٦٧ .
● الكامل (المبرد) تحـ . محمد ابي الفضل ابراهيم ورفيقه ، القاهرة ١٩٥٦ .
● اللغة والحضارة (د . مصطفى مندور) الاسكندرية ١٩٧٤ .
● اللغة والمجتمع (د . علي عبد الواحد وافي) ط ٢ ، ١٩٥١ .
● المثل السائر (ابن الاثير) تحـ . محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٩ .
● معجم الادباء (ياقوت الحموي) ، بعناية الدكتور احمد فريد رفاعي ، مطبوعات المامون .
● من حديث الشعر والنثر (د . طه حسين) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٣٦ .
● منهاج البلغاء وسراج الادباء (حازم القرطاجي) تحـ . محمد الحبيب بن الخوجة ، ١٩٦٦ .
● الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري (الامدي) تحـ . السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر .
● الموشح (ابو عبيد الله المرزباني) تحـ . علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ .
● النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام (ابن المستوفي) تحـ . د . خلف رشيد نعمان بغداد ١٩٨٩ .
● النقد الادبي (د . سهير القلماوي) ط ٢ ، ١٩٥٩ .
● النقد الجمالي واثره في النقد العربي (روز غريب) ط ١ ، ١٩٥٢ .
● نقد الشعر (قدامة بن جعفر) تحـ . كمال مصطفى ، ط ١ ، ١٩٤٨ .
● النقد اللغوي عند العرب (د . نعمة رحيم العزاوي) بغداد ١٩٧٨ .
● النقد المنهجي عند العرب (د . محمد مندور) دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د . ت .
● الوساطة بين المتنبي وخصومه (للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني) تحـ . محمد ابي الفضل ابراهيم ورفيقه ، ط ٣ ، ـ . ت .

www.attaweel.com